التربية الفريسية والاجتماع الإنساني

يوسف فجر رسلان

- مدرس التربية وعلم النفس في معهد إعداد المدرسين بحمص - الجمهورية العربية السورية

التربية الفِرِّيسيَّة والاجتماع الإنساني بحث مقارن بتوظيف نظرية (باريتو) في الرواسب النفسية

ملخص:

أ- في التنظير:

يكشف البحث الأباطيل التوراتية التي يأخذ بها اليهود منذ ثلاثين قرناً، حتى تحولت إلى رواسب واشتقاقات نفسية عدوانية ضد البشر عامة، والعرب خاصة، وقد اعتمدنا نظرية (فلفريد باريتو) في المنهج والمصطلحات، وبعضاً من نظرية (فوريد) في العقد النفسية، وفي غريزة العدوان أو الإتلاف والموت.

- ومن تلك الأباطيل «الإله الخاص لشعب خاص» «الشعب المختار» «الوعد الإلهي بأرض كنعان»، وقد وسعت الصهيونية الحديثة هذا الوعد فدعته «الأرض التوراتية» اعتماداً على نصوص مزورة في التوراة والتلمود.
- ويكشف أيضاً كثيراً من الأخبار والروايات التوراتية الكابة المنسوبة إلى الأنبياء.
- ويبين أيضاً أنهم لا يقتصرون في نقلها على التربية المدرسية، بل يستخدمون جميع مؤسساتهم الدينية والعسكرية والسياسية والمحافل اليهودية في العالم.
- ويرصد البحث اعتداءاتهم المتكررة على العرب منذ التاريخ القديم وحتى أيامنا هذه.

ب- في التطبيق والسلوك:

- يرصد البحث مساعيهم المحمومة المستمرة إلى التوسع، ورفضهم التعايش مع العرب، وغطرستهم عليهم، وعصيانهم القرارات الدولية، وأن هذا السلوك يخرجهم من نمطية الاجتماعي الإنساني القويم.
- ويبرهن البحث على اندماج الصهيونية والصليبية في معسكر عدواني عنصري واحد ضد العرب والمسلمين، بالرغم مما كان بينهم وبين النصارى من قتل وحرق وترشيد وبالرغم من استمرار اليهود في الطعن بالمسيحية.

وأسلوب البحث هو المقارنة والعمليات الاستدلالية المختلفة كالمقارنة بين أهداف التربية اليهودية والتربية المسيحية والتربية الإسلامية، وكذلك بين معنى الألوهية في التربيات الثلاث.

والبحث يدعو العرب والمسلمين إلى نبذ الانقسام والاحتراب، وإلى توحيد صفوفهم وقدراتهم والمرابطة من أجل الجهاد في سبيل الله.

هوية الموضوع

هو بحث في تربية (دينية) تمتد إلى ثلاثين قرنا بتحريفها وتزويرها واختلافاتها، فتعطل في معتنقيها ملكات الطبيعة العاقلة من حكم ومحاكمة ونقد وتمييز وتبصر واستدلال، وتشوِّه في الأنا الأعلى (Super ego) الوجه المقابل، نعني الضمير ذلك «الصوت السماوي الخالد». وقد حولت هذه التربية معتنقيها – عبر التاريخ – إلى جماعات مكروهة منبوذة في أحياء خاصة منغلقة (ghettos) بعيدا عن التواصل الإنساني السليم والطبع البشري القويم.

إنها تربية «الفِرِّيسيِّين والكتبة» لأجيال اليهود المتعاقبة. وقد سخَّروا لها بالوضع والتزوير أسماء الأنبياء والرسل، فقدموهم للبشرية بأشنع الصور. واستهانوا بألفاظ الجلالة بابتداعهم «إلهاً خاصاً بهم» صدوراً من أهوائهم وأحقادهم على البشر سمَّوه (يهوه)، يُنطّقونه، أو ينطقون باسمه، ما يرغبون من القصص والأباطيل خدمة لأطماعهم المتجددة.

اعتمدت مصطلح (التربية الفريسية) تحديدا، لأن الفريسيين (pharisaice) كانوا أكثر الفرق اليهودية وضعا وتزويرا، وأعصاها وأعتاها على الأنبياء والرسل، وأضعفها مناعة حِيال (الإيدز) الأخلاقي، وأدناها إلى «الاختطاف والدعارة» (موثقة لاحقا عن لسان المسيح عليه السلام). وبالتالي أكثرها قدرة على قيادة الجماعات اليهودية وتشويه فكرها وعقيدتها وطباعها وسلوكها. و(الشعب) الذي بلا دين سماوي حقا، وكتاب سماوي محفوظ حقا، أسهل انقياداً إلى وظائفه الدافعية الدنيا، وانجراراً إلى ظلمات الميول والنزوات والغرائز والأهواء الوضيعة، وقد أطلت هنا لأني سأطيل الوقوف على محطة الفواحش في التربية الفريسية، لأنها الطويلة العريضة، أو المترامية أطرافها في التوراة الموضوعة، فضلاً عن أنها الحامل الأساس، أو الجنس الذي تنضوي تحته، وتُنتِش في تربته جميعُ الغراس التربوية المرة.

وعليه، فهوية هذا البحث تربوية – نفسية – اجتماعية – دينية – تراثية،

وليس ثمة قوة بشرية تستطيع أن تمنع أيّاً من هذه التوجهات من أن تتشظّى إلى سياسة. لكن الجانب النفسي فيها هو الأرجح من حيث النتائج. (باريتو لا يهتم بغير النتائج). باعتبار السحنة النفسية (physiognomy) للصهيونية المعاصرة (zionism) هي المحصلة الأخيرة الراسخة والثابتة للرواسب النفسية (psycho residues) التي أرستها العوامل التربوية الاجتماعية والدينية والتاريخية والتراثية المزمنة في الخلفية النفسية العامة لليهود، بعد استثناء الفروق الفردية والشريحية.

وظائف البحث وطريقته

١ ـ بيان خطورة التربية الاجتماعية بعامة، والتربية الدينية بخاصة، ومن ثم التربية الرسمية (pedagogy) الموظفة في ترسيب الطباع والأخلاق والأفكار والعقائد – سلبا وإيجابا – في الخلفية النفسية العامة لمجتمع أو جماعة أو سبط ما – دمجاً مع الوظيفة الأولى، تعريةُ التربية إياها مروِّجةً الفواحشَ من خلال أخبارها الكثيرة. ومعظمُها كبائرُ بالمحرمات، وفي أسر الأنبياء تحديدا، ولن نتمحَّلها أو نقدمها اعتسافا، وإذ يرتفع قليلا صوت الباحث حيال كبائر الفواحش، وكبائر الجرائم فلأنه بشر، وليس (روبوتا) يحصي ويجدول بغير شعور أو إحساس، فكيف به إذا كانت الجرائم واقعة بقومه وديارة؟!

وليس يعنينا من شأن الفواحش في التربية الفريسية إلا كونُ مرتكبيها أو مروجيها مستعدين لفعل الكبائر من كل نوع. ونحن نبحث هذا الشأن في (مجتمع) غريب وافد غاز طامع مزروع في مهجة العرب والمسلمين، فإذا كان في أسلوبي أو لهجتي بعض حرارة فإن هذا يعزز كوني باحثاً عربياً مسلماً، ولا يجعلني انفعالياً منحازاً.

٢ ـ كشفُ التربية الفريسية بمنظورها إلى الأرض والعهد والعدوان والتوسع، ورصدُها عنصرية مسحوبة على أجيال اليهود من زمان «الخروج الأول»، إذ أن أشنع التزوير في هذه إنما كان موضوعا على موسى

باعتباره، عليه السلام، صاحب الشريعة السماوية، وصولاً إلى الصهيونية أو الفريسية المعاصرة.

٣ ـ تعرية التربية النصرانية الغربية المعاصرة (الكنائس تحديدا وتغليبا) منحرفة إلى الصهيونية المعاصرة بعد طول عناء، وبعد ما كان بينهما من تاريخ حافل بالأهوال والكوارث وتبادل المحارق (Holocaustes). وبشكل آخر: كشفُ اختراق الفريسية المعاصرة للنصرانية الكنيسية والسياسية المعاصرة وتحويلها هي الأخرى إلى فريسية معاصرة.

٤ ـ تعرية الصورة الأخيرة الواحدة للغرب، يهودا ونصارى، عدوة للعروبة والإسلام، امتداداً لتاريخ مزمن مشحون بالحقد على العرب والمسلمين، ومثل هذه التعرية ليس «استنتاجات»، وإن شئت، فهي استنتاجات مادتها الأولية التراث الإسلامي كله، أو (نتائج) رصد التاريخ الإسلامي (مقدماتها)، وتؤكدها الأحوال الراهنة.

٥ ـ تتويجُ البحث بدعوة المجتمعات الإسلامية عامة، والعربية الإسلامية خاصة، إلى المرابطة والجهاد، دفاعاً عن ديارهم وأنفسهم وكرامتهم ووجودهم، في هذا الزمان العسير والواقع المرير، وكثيرُه من صنع أيدينا، وأقرن هذه الدعوة بتذكيرهم في كل موقع مسؤول باحتساب نشورهم، وتحصين أرواحهم بقوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ (آل عمران: ١٠٣) ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا**﴾ (الإسراء: ٣٦).

وليس فينا من لا يعرف أن الانزلاق إلى الفرقة والاحتراب يؤدي إلى إضعاف الحق والصف والدار والقرار. وليس فيهم من لايعرف فريضة المرابطة والجهاد، وأننا بغيرها لن نكون «خير أمة أخرجت للناس»، ولن تكون دولة المسلمين عزيزة قوية في زمان مشبع بالأطماع والتكتلات والشرور.

أما طريقتي في هذا البحث فمبسطة، وهي عرض تلك الوظائف واحدة واحدة.

تنفصل الوظائف شكلا، وتتداخل سداة ولحمة، فإذا أنت في آخر الرحلة أمام بناء وشَّحه الأسى والأسف، ثم الخوف على مصير أمة كانت سيدة الدنيا في جهاتها الأربع.

ولأني لم أجد الحوافز الكافية في أحوالنا الراهنة فقد جاءت مساحة الأمل ضيقة، يوسِّعها أبناؤنا وأحفادنا بإذن الله تعالى وعونه، وبِهِمَّةٍ يستمدونها من دينهم وتربيتهم الإسلامية، ومن أن أمتهم كانت على مدى التاريخ حية.

سوف تراني راصداً حتى الخبر الإذاعي الإيجابي. في زمان يبخل بالإيجابيات.

لن أكون إلا موضوعياً والبحث حساس جداً، وحرارة القول لا تلغي الموضوعية، لكني لن أكون باحثاً كيميائياً نشفت أنساغه، أو أنساغ ريشته، فلا يهمه أن يتعاطف مع الأوكسجين أو الهيدروجين، بعد أن فرط ذرة الماء.

في البحث (فلتات لعلها أدبية) من طريقة البحث العلمي المجرد، أو الأجرد، لا أتكلفها، بل تحضر هكذا، وتنسرب إلى البحث. أقف أمامها، أغالبها فتغلبني، فأتركها. أعرف أنها شحنات نفسية، تحرضها الحال المعروضة، فلعلها اختارت ألا تترك البحث ناشفاً.

وهي، مع ذلك، عبارة عن ألفاظ أو جمل أو عبارات لا أكثر، تأدِم البحث وتُدسِّمه بين وجبة وأخرى، فلا تتركه كالحاً مالحاً يابساً.

الرواسب النفسية واشتقاقاتها

يقوم البحث على خلفية رئيسية، هي نظرية (باريتو) في الرواسب النفسية واشتقاقاتها.

تعريف: (فلفريد باريتو) (C.Pareto) ١٨٤٨-١٩٢٣.

«كان أستاذاً لعلم الاقتصاد وعلم الاجتماعي بجامعة لوزان. اشتهر

بمباحثه الاجتماعية اشتهاره بمباحثه الاقتصادية. أثر في المباحث الاقتصادية والاجتماعية الإيطالية والفرنسية معا. كما أثر في الاتجاهات السياسية الإيطالية، فقبست منه الفاشية الإيطالية ما قبسته»[١].

ونضيف أن النازية استمدت حنظلها ودِفْلاها من فلسفة نيتشه، ومن فكرة «الاختيار» التوراتية، وأن هتلر استعار أفران الأسيد من أفران الآجُرِّ التي حرق اليهودُ فيها العرب، بعد نشرهم بمناشير الحديد والنوارج[٢] لفقوها لداود عليه السلام.

يمهد باريتو لنظريته بشروط للدراسة العلمية «فيرى أن الدراسات الاجتماعية، إذا أريد أن تتصف بالصفة العلمية، وجب أن تقتصر على وصف الحوادث ومشاهدة التجربة، وأن تبتعد عن كل ما يتجاوز ذلك، حتى وإن لم تنته إلى نتائج جازمة، أو حقائق حاسمة، أو حتمية مطلقة»[٣].

وعليه، فإن الأخذ بهذه الشروط، أو بهذه المنهجية، يخولنا برهنة المقدمات بالنتائج، أعني الوقوف عند النتائج، خاصة حينما تكون واضحة. وهي واحدة من طرائق الاستدلال أصلا، وتلك ثلاث كبرى يعرفها الباحث، ويستخدم أياً منها حسب حاجته وغرضه وتخصصه، وقد يستخدمها جميعا في بحث واحد: فإما أن ينطلق الباحث من المقدمات إلى النتيجة أو الحكم، وإما أن يحكم فيبرهن، وإما أن يكون الحكم (أو النتيجة) واضحا بذاته، تبرره الحادثة الواقعة، أو «الموصوفة المشاهدة» وفق تعبير باريتو، وكثيراً ما تكون كافة مكفوفة، تبرهن المقدمات، وهي في المنطق أيضا ترصد الحياة العملية.

وهذه المنهجية تعفينا من الإسهاب في المقدمات للحكم على الرواسب النفسية الفريسية المعادية والحاقدة على العرب والمسلمين، أو على الرواسب النصرانية الغربية المماثلة. لجهة أن اشتقاقاتها ونتائجها العدوانية والذرائعية تظهر واضحة كل يوم، حتى وإن لفَّعوها بألف ثوب مخاتل غشاش.

وهي قديمة قدم الإسلام على الأقل، بل منذ المولد الشريف لرسول

الإسلام ﷺ. أو قبله، وما اختلف أو تخلَّف أي كتاب تراثي يبحث السيرة الشريفة عن ذكر تلك. وإذا كانت التربية الفاشية والتربية النازية – قد تمكنتا من تشويه الخلفية النفسية في الأمتين الإيطالية والألمانية لحقبة قصيرة (تظهر رواسبها مؤخرا). فكيف بالتربية الفريسية المرسخة منذ ثلاثين قرنا وعلى أساس ديني؟ إنها لنتائج واضحة للعالم، ولا تقتضي الإسهاب في مقدماتها.

ولعل العرض الموجز التالي يوضح معنى كل من الرواسب والاشتقاقات:

«فالرواسب النفسية هي العناصر الصحيحة في الهيئة الاجتماعية كالعرق والعواطف والمصالح والعقائد الفكرية ومزايا الناس الذين يتألف منهم المجتمع»[٤].

ويعبر كل منها في حينه، أو عند وقوع الحادثة الاشتقاقية، أو عند (أَوْلَجتها) والتنظير لها، عن نوع الراسب في الخلفية النفسية الاجتماعية والفردية معا. هذا، وغالبا ما يتآزر مجموع منها في تحقيق راسب أظهر، تماما كما في آلية الدوافع.

ولو شئنا الخوض في مقدمات هذه العناصر مسحوبة على التربية الفريسية لوجدنا سبرها، أو سبر جزء منها، مما تغني معه الأعمار، كيف لا وقد (أدلجها) الأحبار والكهنة بأربعة أمثال الأناجيل والرسائل النصرانية، وبسيل طافح من مجلدات التلمود؟ على أن المثال يكفي. فلنأخذ عنصر «العقائد الفكرية»، ولنسحبه على فكرة الاختيار الفريسية الشوهاء. أو على راسب الاختيار هذا.

فهل ثمة يهودي لا يَقِرُّ في أعماقه هذا الراسب الأخرق؟ (ما زلنا نذكِّر بالفروق الفردية). أما اشتقاقات هذا الراسب فحدث عنها ولا حرج: منها أن جميع الأمم (الجوييم) حيوانات إنسانية، وأن اليهود هم أبناء الله، وهم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم[٥] وأنت ترى أن عنصر «العرق» المرذول عالميا يعزز

عنصر العقيدة الفكرية، من هنا استعارت النازية والفاشية من باريتو أدواتها العقائدية، ومن هنا التقت النازية والفاشية والفِرِّيسيَّة على سِماط واحد من الأطعمة المتفسخة.

وخذ عنصر «العواطف»، وحدد نوع راسبه في التربية الفريسية، ثم استدر على اشتقاقاته في منحيين من العاطفة. هما الحب والحقد، فقد أذابت الصخر دموع اليهود على مقتل السفاح الإرهابي رابين، ورقصت أعماقهم طربا لقتل المسلمين ساجدين، وحولوا حجارة (الدكتور كولدشتاين) إلى (ولي شفيع منيع). فلنتابع في معنى المصطلحين.

إن التدقيق في عناصر الراسب النفسي يكشف أن المكوِّن والمكوَّن الثقافي (ما هو استعداد، وما هو مكتسب) هو المحرض والمحرك للبناء الحضاري، وتخطىء الأنظمة التربوية المتخليِّة - ببريق المنجرات المادية - عن العلوم الروحية والإنسانية، أو المقلَّلة من مكانتها.

في نقلة أخرى يستعير باريتو من علم النفس التحليلي، فيسمي الرواسب بالعقد، ويحدد أنماطاً، منها «رواسب التركيب والتوفيق، ورواسب الاستمرار والمثابرة، ورواسب التعبير عن العواطف بالأفعال، ورواسب العلاقات الاجتماعية»(٦). ويرى «أن الرواسب النفسية، على تباينها، هي التي تعين الأفعال، وتحفز عليها، فالأفعال تجليات الرواسب. (وعندئذ) تتفرع منها أفعال وارتكاسات وأفكار وأقوال، تسمى اشتقاقات (Dérivations) وهو ما يؤدي إلى علم اجتماع الآراء والنظريات وردود الأفعال»(٧).

وبالرغم من أن الاشتقاقات هي تشخيص الرواسب، أو تجلياتها الايديولوجية والعملية، فإن باريتو لا يعيرها اهتماما كبيرا، بل يعطي الأهمية القصوى للأصول والجذور التي هي الرواسب:

«فالاشتقاقات أمور فرعية، تولدت من الرواسب، أو نشأت عنها، فهي مبنية عليها، متأثرة بها، وليس معنى ذلك أنها منخفضة المكانة أو القيمة، أو

عديمة الفعل والتأثر. ولكن معناها أن مكانتها وقيمتها أقل، وتأثيرها وفعلها أضعف، ثم هي أكثر تموُّجاً وأشد اختلافاً من الرواسب التي هي الأصول والجذور»[٨]. وعليه، فإن الأصول والجذور، أو الرواسب، هي الثابتة الراسخة، وأن اشتقاقاتها هي التابعة المتحولة، وإذا برهنْتَ الرواسب باشتقاقاتها في حال الفريسية المعاصرة، وجدتها وقد أصبحت طبعاً راسخاً عَصِيًّا على التعديل والتبديل و«التموج»، أما اشتقاقاتها في التنظير والسلوك فهي المتحولة المتموجة وفقاً للحاجة والظروف، وبشكل أخص، وفقاً لأحوال المتلقي العربي.

إن «الفردوس المفقود» يقوم على راسب نفسي يهودي توراتي تلمودي راسخ، ومن تحولاته القديمة اشتقاق «الأرض التوراتية»، حيث لم يعد مفهوم «أرض كنعان، وأرض الكنعاني» كافيا لاستيعاب راسب الفردوس المفقود. لقد أخذوا - بميثاق دولي - من فلسطين كل فلسطين. وما تركوا للعرب والمسلمين إلا حصيرة، أو مُلاءة مِعْجَنٍ تقضمها (القوارض) كل يوم (عذراً، غالبتها فغلبتني).

تلكم هي الرواسب النفسية واشتقاقاتها، ولو عاش باريتو زماننا المرير هذا لحكر الأمثلة على نظريته من واقع العرب والمسلمين، ومن أسْمِطة التربية الفريسية المسمومة المتفسخة المنافية لكل طبع إنساني قويم واجتماع بشري نبيل كريم. أجل، ولم أكن عابثا، بل كنت جاداً وعامداً، عندما تخيَّرت نظرية باريتو لهذا البحث الصِّدامي.

الوظيفة الأولى - أهمية التربية الدينية في تحديد الرواسب

تمثل التربية الدينية أخطر العوامل المحدِّدة لشخصية الأمة أو الجماعة في السلب أو الإيجاب، أو بهما معا. بحيث لا تكون أنماط التربية الأخرى إلا امتداداً لها وتفرعات منها. فالتربية الاجتماعية (الأسرة والمدرسة والمحيط الاجتماعي بعامة، وجميع وسائل ومؤسسات التواصل الأخرى) ليست سوى صدى للتربية الدينية.

وتزداد هذه الأهمية والخطورة في ترسيخ الأسس الروحية، والقيم الأخلاقية، والقواعد السلوكية، إذا دعمتها، وسارت على نهجها التربية الرسمية القاصدة (pedagogy)، كما في الأنظمة الحديثة والمعاصرة، وما تبلغ التربية الدينية هذا المستوى من تحديد الهوية النفسية والطَّبْعية للأمة والجماعة إلا بعد أن تكون قد استحوذت على نفوس الأفراد، وامتلكت فيهم العقل والقلب والفؤاد أجمعين. ومن الغرابة والعجب أن يكون للتربية (الدينية) السلبية ذلك الامتلاك أيضا - وهو هنا استلاب بدون مقاومة - خاصة إذا امتد بها الزمان، وتناقلتها الأمة أو الجماعة في خلفيتها النفسية العامة جيلا بعد جيل، مما يؤدي إلى تعطيل ملكات العقل الجمعي في الحكم والمحاكمة والنقد والتمييز والتبصر والاستدلال، وعندئذ تستطيع القيادة (الدينية) الموجِّهة للأمة أو الجماعة أن تمدها بما تشاء من تحريف وتخريف وأضاليل، وأمثِّل على ذلك بالفريسية والبوذية وبعض الحركات (الدينية) التي ظهرت مؤخرا في أمريكا واليابان. وقد يظهر غيرها في أي مجتمع لا تؤسَّس أخلاقه وطباعه وقيمه وتربيته على كتب سماوية حقا بالغة ما بلغت أشواطه الحضارية من التطور. حتى وإن بلغت مركباته أبعد أجواز الفضاء.

هذا، وقد بات العالم كله يعرف - وفي مقدمته المؤرخون الغربيون والباحثون الأمناء المنصفون في كل ميدان إنساني - أن التربية التوراتية الفريسية هي المسؤولة عن تشويه طبع اليهود وخلفيتهم النفسية العامة، والحَيْدِ بها عن الفطرة الإنسانية السوية. وأن هذه التربية هي الأنموذج الأبرز بين (التربيات الدينية) السلبية.

فإذا قارنت بين الفريسية والبوذية - مثلا - (كل منهما تزعم أنها سماوية) وجدت أن البوذية منكفئة على معتنقيها، أما الفريسية فقد امتدت شرورها إلى كل المجتمعات التي وصل إليها اليهود قديما وحديثا ومعاصرة، فعانت مكرَهم وخداعَهم وخيانتهم وأساليبهم المتنوعة في إفساد المجتمع، وقاست - عند ضعفها وتفككها - وحشيتَهم وعنصريتهم (التوثيق قادم).

أ- التربية الفريسية - في البدء كانت الفواحش:

تناول الفريسيون والكتبة - من خلال التوراة والعهد القديم والتلمود - أدمغة وأفئدة اليهود بالتزوير الشنيع وتلفيق الفواحش لجميع الأنبياء وأسرهم مستهلين بآدم وحواء، ولعلهم نسوا أن يتناولوهما، عندما وضعوا سفر التكوين فاستدركوا هذا التقصير في التلمود، ومنه يأخذ الدكتور محمد علي البار الخبر (الطريف) التالي مطولاً، نكتفي منه بما يحتاجه البحث: «يزعم التلمود أن آدم كانت له عشيقة من الجن اسمها (ليليت) كان يأتيها لمدة مائة وثلاثين سنة، وأنجب منها أولاد كثيرين، وأنه كان لحواء عشاق من الجن يأتونها، وولدت منهم أولادا كثيرين»(٩).

وبتلفيقهم هذه (الأفعال) لآدم وحواء إنما يعبرون عن أخلاقهم، وعن النهج التربوي الذي اختاروه لأجيالهم، منذ أول ضوء للحياة البشرية، إنهاالفحشاء (فاتحة) التربية الفريسية. وهم يفرعون من هذا الخبر ذيولا كثيرة، منها أن جميع البشر هم خلفة تلك الفواحش الأولى، أما اليهود فمن نسل شيت، الابن الحلال من زواج آدم بحواء زواجا شرعيا، ومن هنا ادعى الفريسيون أن اليهود بنو الله، وأجناد الرب.

وقد أخذ الدكتور حسن ظاظا جزءاً متواضعاً من هذا الخبر، وترك معظمه (وأعظمه) عندما قال:

«زعموا أن آدم تزوج مرتين قبل حواء: في الأولى (ليليت)، فتشاجر معها وطلقها، وفي الثانية (نعمه)، فتشاجر معها وطلقها، . . . فذهبت المرأتان للسكنى مع الشياطين في منطقة البحر الأحمر. . وظهرتا في عهد سليمان بزي مومسات، واحتفظتا بنضارتهما وشبابهما وجاذبيتهما الجنسية بعد هذه الملايين (؟!) من السنين»(١٠).

أكتفي - لجهة الزمان، أو بدء الخلق البشري - بهذه (الفاتحة الفريسية) منوهاً بالطبع والأخلاق والأسس الروحية، والمبادىء السلوكية التي رسَّبتها في الخلفية النفسية العامة لأجيال اليهود المتعاقبة.

وهم بعد أخبارهم الموضوعة المقذعة المفزعة بحق آدم وحواء، استمدوا الجرأة و(المشروعية) من التوراة هذه المرة، فراحوا يكيلون للأنبياء وأزواجهم وأبنائهم وبناتهم من أخبار الفواحش، حتى بالمحرمات، ما تقشعر له الأبدان.

وما السقوط الروحي، والتردي الأخلاقي، والتهتك والتفكك الأسري، الذي تعانيه مجتمعاتهم، والمجتمعات النصرانية الغربية، إلا انعكاس لتلك (الفواتح) الراسبة، وامتداداتها واشتقاقاتها في التربية الفريسية، لأن كتاب النصارى خَلِيٌ من تلك الرواسب. فلنتابع في اجترائهم على الأنبياء والرسل وأسرهم - بعد اجترائهم على آدم وحواء - وقد وعدنا - عند الحديث في هوية الموضوع عن (الإيدز الأخلاقي) - بأن نطيل الوقوف في هذه المحطة، لأنها الطويلة في كتبهم (الدينية)، ولأن مُدْمِنَ الفواحش مهيأ لاقتراف الموبقات والكبائر، وتعنينا منها جرائمهم برقابنا وديارنا، ولولا ذلك لتركناهم وشأنهم.

من المفارقات حقا أن الفريسيين لم يتركوا نبياً يسلم من أباطيل الفواحش، إلا إسماعيل وموسى عليهما السلام، لكنهم أصابوا موسى بما هو قريب منها، فقد صوروه ساكتاً على الفاحشة تجري أمامه في «خيمة الاجتماع» وهي خيمة (الرب) عندهم، فلا تتحرك فيه نخوة أو مروءة، بل تحركت في الكاهن (فينحاس بن ألعازار). فإلى التوراة:

«وأقام إسرائيل (الجمع بصيغة المفرد) في شطيم وابتدأ الشعب يزفون مع بنات موآب. فدعوْنَ الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجد لآلهتهن.. وإذا رجل من بني إسرائيل جاء وقدَّم إلى إخوانه المديانيةَ أمام عيني موسى وأعين كل جماعة بني إسرائيل وهم باكون لدى باب خيمة الاجتماع. (يبكون لانتشار

الوباء وكثرة الموت بسبب الزنى) فلما رأى ذلك فينحاس بن ألعازار الكاهن قام من وسط الجماعة وأخذ رمحاً بيده ودخل وراء الرجل الإسرائيلي إلى القبة وطعن كليهما الرجل الإسرائيل والمرأة في بطنها. فامتنع الوباء عن بني إسرائيل. وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفاً. فكلم الرب موسى قائلاً: فينحاس بن ألعازار الكاهن قد رد سَخَطي عن بني إسرائيل بكونه غار غيرتي.. لذلك قل هأنذا أعطيه ميثاقي..»[١١].

قد تظهر الواقعة بثوب الدفاع عن الأخلاق عملاً بوصية «لا تزن» والواقع أن الإصحاحات من سفر العدد (ما بين ٢٢-٢٥) لا تربطها بأي مضمون لتلك الوصية، بل تتجاهلها تماما، وقد عُلِّلت الواقعة بأمرين وحسب، أولهما الخوف من استمرار الوباء والموت، وثانيهما تحول بني إسرائيل عن عبادة يهوه إلى عبادة آلهة الموآبيين، ثم لا شيء آخر.

لقد وضع الكهنة هذا النص على موسى، أو وضعوه فيه سفاهة وتزويرا للإساءة إلى شخصه الكريم، وعندئذ يشرعون لأنفسهم تفضيل الكاهن عليه. فمن يصدق أن صاحب الوصية «لا تزن» يسكت على فاحشة تجري أمامه؟

ولقد تخيَّرت هذه الواقعة لأنها أقل اشتهاراً، فلعل فيها جدة على بعض القراء.

نصوص من (الرأي الآخر)

قبل أن نتابع في السلبيات لا بد من أن نرصع الفقرة التي نبحثها بهذا الوشاح الإيجابي الطاهر، وقد رأى الإخوة، باختيار موفق، أن نسميه الوجه الآخر. إنه السنن الشرعية في سفر اللاوِيِّين، ومن دراستي التوراة والعهد القديم وجدت هذا السبط أطهر أسباط إسرائيل، ولعله بسبب ذلك كان الأقل ميراثا، ونحن إذ نثمن هذه السنن ونباركها فلأنها تلتقي مع أحكام الشريعة الإسلامية، وهي تعصم من الفحشاء، ومن أصناف الشذوذ إذا عمل بها المجتمع:

«عورةَ أبيك وعورةَ أمك لا تكشف.. عورةَ امرأة أبيك لا تكشف.. عورة أختك بنتِ أبيك أو بنتِ أمك المولودةِ في البيت أو المولودةِ خارجا لا تكشف.. عورة ابنةِ ابنِك أو ابنةِ بنتِك لا تكشف.. عورة بنت امرأة أبيك المولودةِ من أبيك لا تكشف.. عورة أخت أمك لا تكشف.. عورة أخي أبيك لا تكشف. إلى امرأته لا تقترب. إنها عمتك. عورة كنتك لا تكشف. إنها امرأة ابنك. عورة امرأة أخيك لا تكشف.. عورة امرأة وبنتها لا تكشف. ولا تأخذ ابنة ابنها أو ابنة بنتها.. إنها رذيلة. ولا تأخذ امرأة على أختها للضِّر في حياتها. ولا تقترب إلى امرأة في نجاسة طمثها. ولا تجعل مع امرأة صاحبك مضجعك.. ولا تضاجع ذكرا مضاجعة امرأة. إنه رجس. ولا تجعل مع بهيمة مضجعك. ولا تقفِ امرأة أمام بهيمة لنزائها. إنها فاحشة».

ونحن نرجح أن تكون هذه السنن من التوراة الصحيحة. ونستدل على ذلك بالقرائن التالية:

١ ـ اتفاقها مع أحكام الشريعة الإسلامية، وما كان من عند الله تعالى فواحد، إلا ما ينسخه ويُنسيه ويأتي بخير منه أو مثله، وهو «على كل شيء قدير» (صدورا من الآية الكريمة ١٠٦ - البقرة).

- وما كان من عند غير الله تعالى - وموضوعا على الله - هو الذي يقع فيه الاختلاف الكثير. (أوردت الآية الكريمة في موضع لاحق) فكيف لو بلغ الاختلاف حد التناقض؟ والتناقض في المنطق أشد حالات الاختلاف. وإليك بيانه في المسألة المطروحة:

فإله اليهود يهوه يأمر الأنبياء بالزنى (موضوع فقرة قريبة).

فكيف يكون هو عينه صاحب سنن اللاويين؟

وعليه. فسنن اللاويين هي من عند الله، أما الأمر بالزنى فمن عند غير الله، أي من عند الكهنة الوَضَّاعين، ولا مناص من هذا الحكم.

٢ ـ هذه القرينة تعزز القرينة السابقة: لقد بلَّغ موسى عليه السلام بني إسرائيل الوصايا العشر، ومنها «لاتزن». فما جاء على سَمْتها كان من

عند موسى (بالوساطة)، وما ناقضها كان من عند أحبار الفريسية بلا فكاك.

٣ ـ إن سنن اللاويين المنسجمة مع الشريعة الإسلامية هي الأحكام الصالحة لتنظيم علاقات البشر، بما هم بشر، وما كان آمرا بخلق مجتمع صالح، كان من عند الله، وما كان آمراً بخرق المجتمع، وفتق علاقاته الجنسية السوية، وتحويله إلى قطيع، كان من عند غير الله، فضلا عن أن هذه القرينة عامة.

لقد سلمت تلك السنن، بل ومعظم السفر، من عبث الكهنة، إذ يتابع في الإصحاح العشرين ذكر الأحكام الشرعية العملية الموافقة لتلك السنن واحدة واحدة، وهي في معظمها تتفق – أيضاً – مع أحكام الشريعة الإسلامية.

سحب الفقرة المطروحة إلى ميدان التربية

ليس ثابتاً أنه كان لليهود القدامى فلسفة تربوية، شأنهم في ذلك كشأن النصرانية والإسلام في صدريهما. فما نعرف في الإسلام – مثلاً – فلسفة تربوية وضعية قبل ابن سينا، وأنما كانت التربية الإسلامية تصدر من كتاب الله العظيم المحفوظ، والسنة النبوية الشريفة، من ههنا كانت التربية الإسلامية الفاضلة.

ولعل الأمر نفسه كان سيحصل في التربية النصرانية لو تمسكوا بكتابهم، وهو يكفي لهذه المسألة. وليس ثابتاً أنه كان للنصارى فلسفة تربوية وضعية، أو مناهج مدرسية، قبل أن يتعلموها ويأخذوها من العرب المسلمين (الأندلس خاصة). فالفلسفة التربوية – عند الجميع – كانت موقوفة على كتبهم الدينية. فالنصارى ظلوا – حتى منتصف القرن الخامس – يمورون ويدورون، يجتمعون ويفترقون، ويعقدون المؤتمرات الدينية العالمية، كي يوحدوا أديانهم، وما توحدت، ومثل هذا التشويش هو الذي جعلهم نهباً لخرق التربية الفريسية، خاصة بعد أن فرضت عليهم الصهيونية المزمنة دمج أسفار الكهنة مع الأناجيل في تجليدة واحدة. صحيح أن العداء بين الكنيسة والكَنيس كان مستحكماً، ولكن من يعصم الشعوب النصرانية من أن تخترق أقحافَها كبائر وفواحش الكهنة وهم يقرؤونها كل يوم في (الكتاب المقدس)؟ ومن يمسك تربية النصارى أن

تميد، وأن تنخلع من الفضائل والمعاني الإنسانية؟ الواقع أن الكنيسة كانت عاجزة عن ذلك، فلا خُطَب الأعياد، وعِظات الآحاد، ولا التعاليم الرَّعَوية، والدروس الأخوية، والوصايا الرهبانية، ومراسيم التحريم البابوية، والقرارات الأسقفية، وصكوك الغفران (التِّيتْزِليَّة)(*) كانت قادرة على منع الرواسب الفِرِّيسيَّة من الانسراب إلى التربية النصرانية، وتلكم هي (النتائج) - وفق باريتو - واضحة للعالم كله.

وليس من المنطقي أو المقبول أن تنص (إسرائيل) صراحة على رواسب الفواحش في مناهجها المدرسية، أو أن تنظِّر لها في فلسفتها التربوية، فهذي لا يفعلها عاقل في التاريخ المعاصر، ويكون من العبث التفتيش عن مثلها في المناهج المدرسية الإسرائيلية، لكن اليهود يتمسكون بتوراتهم، بل ويقدمون التلمود عليها، لأنه الأكثر نصوصاً على الفواحش، والأشد سفاهة بحق البشر عامة والمسيحيين والمسلمين خاصة. هم لا يتنازلون عن عبارة واحدة مما وضعه الكهنة، ويديرون ظهورهم لجميع النصوص والأسفار الصالحة. أغفلوا الوصية الربانية الموسوية «لا تزن»، واستمسكوا بكل ما وضعه الكهنة على الأنبياء من أخبار الفواحش. وعليه فإن المناهج التربوية الإسرائيلية هي الهامشية، والأسفار الموضوعة هي مركز التربية الفريسية.

وإذا كان الإسرائيليون المعاصرون لا ينظِّرون لراسب الفواحش، فهم ينظِّرون لجميع الرواسب السلبية الأخرى، كراسب الاختيار، وراسب الفردوس المفقود، وراسب «المدى الفارغ»، أو الأرض التي تُخْلَى من سكانها بالقتل والتشريد، كي يهنأ الإسرائيليون بأرض «تفيض لبناً وعسلاً» فلا يشاركهم بها «حيوان إنساني». ولولا أن يكون راسب الفواحش الحاملَ الأُسَّ للرواسب الأخرى لما تحدثنا فيه، أو أطلنا، ولتركنا الإسرائيليين (ينعمون) بأخلاقهم وطباعهم.

---

* نسبة إلى جوهان تيتزل الذي كان مكلفا ببيع صكوك الغفران.

الكهنة يشوهون الوجه الآخر

إذا اطلعنا على سفر (هوشع) وجدنا فيه وعيدا وتقريعا حادين لبني إسرائيل لما كانوا يحدثونه من شرور، وفي مقدمتها الزنى. ولقد بذل جهدا كبيرا، ولعله بح صوته بالوعظ والتوبيخ والتقريع والوعيد (طالع السفر)، علّه يعيدهم إلى طبيعة الاجتماع الإنساني السوي، وهذا جزء منه:

«اسمعوا قول الرب يا بني إسرائيل. إن للرب محكمة.. لأنه لا أمانةَ ولا إحسانَ ولا معرفةَ الله.. لعنٌ وكذب وقتل وسرقة. يَعتَنِقون (العنف) ودماءٌ تلحق دماءً. لذلك تنوح الأرض ويذبُل كل من يسكن فيها مع حيوان البرية وطيور السماء»(١٣) «الزنى والخمر والسلافة تُخْلِبُ القلب. شعبي يسأل خشبَه وعصاه تخبره لأن روح الزنى قد أضلهم.. لذلك تزني بناتكم وتفسق كناتكم.. وشعب لا يعقل يُصرع»(١٤).

«إذا كنت أنت زانيا يا إسرائيل (الجمع بصيغة المفرد) فلا يأثمُ يهوذا.. إنه قد جمح إسرائيل كبقرة جامحة.. أفرايم (سبط إسرائيلي) مُوثَق بالأصنام، اتركوه. متى انتهت منادمتهم زنوا زنى»(١٥).

وعليه، فإن النبي هوشع بذل جهدا كبيرا كي (يربي) اليهود على الأخلاق الفاضلة، فكيف كانت ردة الفعل عند يهوه، والصحيح: عند الكهنة؟ لقد عاقبوه بالزواج بزانية:

«أول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى.. فذهب وأخذ جُومَرَ بنتَ دِبلايم فحبِلت وولدت له ابنا.. ثم حبلت وولدت له بنتا.. وحبلت (مرة ثالثة) فولدت ابنا»(١٦) وكانت له (مكافأة) أخرى:

«وقال الرب لي اذهب أيضا أحْبِبْ امرةً حبيبةَ صاحبٍ وزانيةً كمحبة الرب لبني إسرائيل.. فاشتريتها لنفسي.. وقلت لها.. لا تزني ولا تكوني لرجل»(١٧).

تلك كانت مكافأة الكهنة الفريسيين للنبي المربي هوشع، ونحن نصدق الوجه الإيجابي من هذه النصوص، وهو محاولة هوشع تربية اليهود تربية صالحة وردهم إلى شكل المجتمع البشري القويم، بعد أن علم من كبائرهم، أو رواسبهم النفسية السلبية الشيء الكثير، خاصة وأنه وجد بينهم في زمان متأخر.

لقد فشلت محاولاته التربوية أمام نمط «رواسب الاستمرار والمثابرة» (حسب باريتو)، كما فشلت جميع محاولات الأنبياء والرسل عليهم السلام.

وقفة أخيرة في التربية الفريسية

لو لم تكن هذه الرواية موضوعة على يوشع عليه السلام، ولولا ارتباطها بامرأة عربية كنعانية، ولولا ما تروِّجه من راسب تربوي فاسد، لما وقفت عندها، خاصة وأني بدأت أتوجس من أن ينظر إلى بحثي على أنه مكرس (لفواتح) اليهود التربوية.

- ينسبون إلى يوشع عليه السلام تكريس الزنى وخيانة الوطن بحفاظه على حياة امرأة عربية زانية، خبأت جاسوسين يهوديين، وساعدت على إبادة قومها سكان أريحا، وقد قدموها بصيغة ملحمية مطولة على مساحة إصحاح كامل، نختار منه ما يلي:

«وصعِد الشعب (اليهود) إلى المدينة.. وحرَّموا (قتلوا) كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف. وقال يشوع للرجلين اللذين تجسسا الأرض ادخلا بيت المرأة الزانية وأخرجا من هناك المرأة وكلَّ ما لَها (الذي لها.. فدخل الغلامان الجاسوسان وأخرجا راحاب وأباها وأمها وإخوتها وكل ما لَها.. وأحرقوا المدينة بالنار.. واستحي يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها.. وسكنت في وسط إسرائيل»[١٨]. وكان يشوع قد صرخ باليهود عند الشروع بالهجوم الهمجي:

«راحاب الزانية فقط تحيا هي وكل من معها في البيت».

والرواية برمتها، بل وسفر يوشع برمته، موضوع على ذلك النبي الكريم.

هذا نزر من بحر، بل قل من مستنقعات أخبار الفواحش التي لفقوها للأنبياء، ثم اتركوا ما لفقوه لإبراهيم ولوط واسحاق وداود وسليمان عليهم السلام. وهو مما يَقِفُ له شعر الرأس، وتقشعر منه الأبدان. وهو الراسب المستمر الذي تتولد منه اشتقاقات التربية اليهودية السلبية.

حول الوصايا العشر

في كل مرة دار فيها نقاش بيني وبين مثقفين نصارى حول الوصايا العشر التوراتية بحثا عن إيجابيات التوراة، كنت أدل على ما هو أفضل منها لهذا الأمر، كنت أدل على أسفار من مثل اللاويين: هوشع - أشعيا - إرميا - مراثي إرميا. . .

وعلى العموم فهي أكثر من عشر إذا أخذت بتفريعاتها. حتى أنها شغلت مساحات واسعة في أكثر من سفر.

ونكتفي بما هو مشهور على أنه وصايا موسى، ومن موضع واحد:

«أكرم أباك وأمك. لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما هو لقريبك»(١٩).

والوصايا ربانية بوساطة الرسول موسى عليه السلام. والخطاب الإلهي يعمم في مثل هذه المعاني الكبرى، ثم إن قريب اليهودي هو اليهودي فقط، أو أي يهودي، وعليه، فإن وصايا (قريبك) تترك الأبواب مفتوحة على مصاريعها أمام اليهود، كي ينفلتوا على محرمات وممتلكات البشر غير البشر (القطيع).

أجل، فراسب الحيوانات الإنسانية أساس التربية اليهودية قديما وحديثا، ولا تغرنك اشتقاقاته التَّلْفيعية من مثل بؤرة الحضارة في الشرق الأوسط.

وعلى قاعدة أو راسب الحيوانات الإنسانية، معزَّزاً برواسب (أبناء الله وأجناد الرب، والجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم، والفردوس المفقود) على هذه الرواسب المارقة من فطرة الخلق البشري والاجتماع الإنسان السوي تقوم تربية اليهود في إسرائيل وفي جميع أصقاع الأرض. فمدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم، وحتى دور حضانتهم. هي الكُنُس والمنظمات والمحافل السرية. أما مناهجهم فهي التوراة والتلمود وما يتحفون به أجيالهم من سقط المتاع.

قبل أن ننسى نذكر بأن الوصايا التي ليس فيها (قريبك) وصايا وأحكام عامة جليلة تلتقي مع الشريعة الإسلامية، لأنها تنسجم مع فطرة الخلق الإنساني

القويم، لكن اليهود - وعلى مدى التاريخ - قتلوا ويقتلون، زنوا ويزنون، سرقوا ويسرقون، تنفيثا لراسب «الاستمرار والمثابرة» على طبع سقيم، أو على طبع جعله الكهنة الوضاعون سقيما بطريق تربية (دينية) سلبية مارقة من رسالات موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام.

الوصايا الجليلة والإسلام/ قيد المطابقة

في التوراة	في القرآن الكريم
أكرم أباك وأمك	«وبالوالدين إحسانا.. رب ارحمهما كما ربياني صغيرا» (الإسراء: ٢٣-٢٤).
لا تقتل	«ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق» (الإسراء: ٣٣).
لا تزن	«ولا تقربوا الزنى» (الإسراء: ٣٢) «قل إنما حرم ربي الفواحش» (الأعراف: ٣٣).
لا تسرق	«والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» (المائدة: ٣٨).

ثم أدخلوا كلمة «قريبك» على الوصايا الأخرى (فانفلت العِجْل على أمه» (فسدت تربيتهم).

ب- التربية الإسلامية

من آلائه تعالى أن مَنَّ على المسلمين من زمان إبراهيم على المشهور، ومن بدء الخلق البشري على الحقيقة (لأن الدين عند الله الإسلام) بدينهم السماوي، راسخاً في فطرة أهله وصِبغتهم، راسخةً فيه القيم الأخلاقية، والمعاني الإنسانية، والأسس الروحية، لتكون تربيتهم هي الأنموذج الأسمى بين أنماط التربية الإيجابية اللائقة بالاجتماع الإنساني، وبمكانة الإنسان باعتباره خليفة في الأرض، وقد بُشِّر بهذه المكانة وكُرِّم بقوله تعالى: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ (البقرة: ٣٠).

قارن بين نظرة الإسلام إلى الإنسان بإطلاق، ومنهم اليهود، وبين نظرة الفريسيين إلى البشر، واعتبارهم جميع الأمم قطيعا إلا اليهود، واحكم بعد ذلك على رواسبهم واشتقاقاتهم ودينهم وتربيتهم.

والواقع أن البشرية اليوم - وبالمحصلة الأخيرة لتأثير التربية الدينية في تحديد هوية الأمة أو الجماعة - أمام هويتين، أو أمام أنموذجين كل منهما أوحد: أنموذج الشر وأنموذج الخير، أو الهوية الفريسية باتحاد عنصريها (الصهيونية والكنيسية التابعة) والهوية الإسلامية، ولقد بات العالم اليوم يسمع هنا وهناك بين الحين والآخر أصواتاً يهودية ونصرانية، تجهر بغير لبس أو موارية بأن (الخطر) الوحيد المتبقي أمام الغرب هو الإسلام، وما أحسب هذه الشراكة في التصريح إلا قرينة على انصهار العنصرين في بوتقة عدوانية واحدة. بعد أن حُسِب - لزمان طويل - لا ينصهران معا. وما أحسب الشراكة في الجهر إلا تنفيثاً عن راسب حقدي مزمن مشترك. أضف إلى ذلك أن هذه الحقيقة واضحة في الترجمة العملية المعاصرة لنزوع الغرب العدواني ضد الإسلام، فقد انطفأت الحروب من العالم أو تكاد، ليشتد أوارها في ديار العرب والمسلمين، كما لم يشتد في حقبة سابقة.

أجل، إنها محصلة التربية الفريسية المسيطرة في محافل الكنيسة والكنيس معا، وإنه الصراع بين الخير والشر منذ بدء الخلق البشري.

الألوهية في التربيات التي ندرسها

ذكرنا من قبل أن التربية الدينية هي المُعامِل الأُسُّ في أنماط التربية الأخرى، خاصة إذا سارت على نهجها التربية الرسمية القاصدة، كما في الأنظمة الحديثة والمعاصرة، وقلنا: إنها ما تبلغ هذا المستوى من تحديد الهوية النفسية والطَّبْعية والسلوكية للأمة أو الجماعة إلا بعد أن تكون قد استحوذت على نفوس الأفراد.

ولما كان الأمر كذلك فإن فكرة الألوهية السائدة في الأمة، أو الصورة الاعتقادية التي تحتفظ بها عن (إلهها) هي أيضا المعامِلُ الأسُّ في دينها وتربيتها وثقافتها. فلنقف - بمحطات سريعة - على (الصورة الاعتقادية) عن الإله في المجتمعات التي تعنينا:

في النصرانية:

- عبد النصارى نبياً، بعد أن شاهدوا ما أكرمه الله به من المعجزات، فبديل أن يتوجهوا إلى عبادة الله تعالى توجهوا إلى عباده نبيه، فكانوا كمن ذهبوا ليخطبوا زوجة أوليس، فوجدوا وصيفتها بالباب، فخطبوها ورجعوا، ولم يروا زوجة أوليس، فليغفر لي الله تعالى، وليتجاوز نبيه الكريم، فما هي إلا طرفة مطابِقة، لم أحْرِم القارىء منها. وهم بعد إذ فعلوا ذلك، راحوا يجسدون (الرب) بصلبان الذهب والفضة والنحاس، وبما تجود به الطبيعة من أخشاب، حتى بلغت الصلبان الخشبية أحيانا في مسابقاتهم الإيمانية الاعتقادية حد الأشجار الكاملة الضخمة.

وقد (قتلوه وصلبوه) ليجعلوا منه فاديا مكفرا عن ذنوبهم، إن هذا الاعتقاد بحد ذاته يسرِّب إلى تربيتهم راسباً مستمراً، مفاده أن (الرب) افتداهم بنفسه لا عن ذنوب ماضية وحسب - وهي إذ ذاك كبائر الفريسيين - ولكن عن الذنوب جميعا. وعندئذ، فمن يضمن ألا يأخذ النصراني بهذا الاعتقاد على أمدائه وأبعاده، فيرتكب الذنوب ما طاب له، طالما أن هنالك (ربا) يفتديه؟

وقد سأل رب العالمين سبحانه وتعالى نبيه إن كان هو الذي (زعم) حقا ليس له، فاستغفر ربه، وتبرأ من (الزعم). يقول تعالى: ﴿**وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنتُ قلتُه فقد علِمتَه.. إنك أنت علاَّمُ الغيوب**﴾ (المائدة: ١١٦).

فلا عيسى كان يصادر حقا ليس له، ولا الله تعالى كان (يجهل) ذلك. وإنما هي تربية لنا، وتعليم وتنبيه لمن خطبوا الوصيفة.

جسدوه رجلاً يجر ويجرر الأخشاب الضخمة على كتفيه وظهره. وقالوا هكذا هو الرب الذي افتدانا، أتراهم جسدوه لكبائر بني إسرائيل، أم أن بني إسرائيل هم الذين جسدوه مكفراً عن كبائرهم، ثم أُعْجب النصارى بالفكرة

فاستعاروها معتقداً؟ إنها نمط من الوثنية، يشوه الصورة الاعتقادية عن الله تعالى، وبمثلها يكون الإيمان مترهَّلاً، وتكون النفوس مستعدة لتقبل وثنيات أخرى، وتربيات هشة أخرى، بالغة ما بلغت من الإسفاف، حتى أني وجدت - كما وجد غيرى - مثقفين نصارى يؤمنون بيهوه، خاصة وأنه يجاور (الوصيفة) بمسكن واحد، هو الكتاب المقدس. وبالمقابل فقد وجدنا منهم من يرفضون هذا الطقس الوثني، بعد أن عرفوا أصوله، وتوجسوا من ارتكاساته التربوية. وأصحابنا - بحكم المهنة - هم على الغالب من المربين، وسوح الحوار الهادىء الحر مفتوحة بيننا، ويتقبلون الكلام الحار، خاصة إذا كان بنيانه منطقيا.

ستكون لنا عودة إلى التربية النصرانية بأمثلة أمريكية وفرنسية حديثة مقارنة بأمثلة عربية مسلمة.

إله اليهود

هو (يهوه) الإله الخاص لشعبه الخاص أو الأخص أو لأبنائه وأجناده (ألفاظ توراتية بحرفها، ومثلها على هذا السَّمْت كثير جداً). ولما كانت البشرية قطيعا فهي خلية من الحاجة إلى إله، إن إصلاح البشرية يتمثل بعبوديتها لبني إسرائيل (تأتي لاحقاً بتفصيل أوسع). وقد شمر (يهوه) عن ساعديه، مذ كان موسى في مصر، واعداً متوعداً بأنه سيطرد ويقتل جميع شعوب أرض كنعان، ليوطن الإسرائيليين فيها، هكذا، عداوة وحقداً مجانياً، إلا ما راحوا يختلقونه من ذرائع واهية.

وقد جاءت التسمية في زمان لاحق بعد الخروج، إذ كان الكهنة يتنمَّرون لاحتلال الديار العربية، والأمر يقتضي إيجاد اسم (للرب - الإله) أو إيجاد رب له اسم. «فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكاراً في الكتاب وضعه في مسامع يشوع (لأنه سيكمل الاحتلال). فإني سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء. فبنى موسى مذبحا ودعا اسمه يهوه»[٢٠]. إذن، هم اختلقوه من أجل اغتصاب

أرض العرب. فلا يكون يهوه إلا أطماعَ اليهود وأحقادَهم. أعني ليس ثمة إله اسمه يهوه. وهذا (الإله) متناقض، فهو يعطي موسى وصية «لاتزن» ثم يأمر الأنبياء بأن يتزوجوا الزانيات، ويعطيه وصية «لا تسرق»، ثم يأمر بسرقة أموال المصريين عند الخروج (موثقة لاحقا)، وهو يعطي وصية لا تقتل، ثم يأمرهم بقتل العرب وشعوب أرض كنعان جميعا، بل ويشاركهم بذلك، حسب فهمهم الأخرق لمعنى الألوهية. ولهذا (الرب) صفات وأوصاف كثيرة فجة سمجة همجية أخرى، ستمر فيما تبقى من البحث، وكيف لا يكون كذلك، وهو عينه عُقَدُ الفريسيين ورواسبُهم النفسية التربوية المريضة عينها؟ إذ لا وجود لغير الله عز وجل.

أما ارتكاسات هذا الراسب الإيماني (بإله) مصنوع على تربية اليهود فهل يمكن أن تكون غير الحقد والضغينة على العرب والمسلمين؟ وهل يمكن أن تكون تربية (شعب) على الإيمان بأخلاق وطباع (إله) من مثل هذا الأنموذج الضار إلا تربية مريضة؟ يخطىء من يظن أن اليهود يتخلون عن أي راسب توراتي تلمودي، حتى وإن غيبوه من مناهجهم الدراسية، فمدارسهم وجامعاتهم – كما قلنا – هي الكُنُس والمحافل والمؤسسات والمنظمات السرية المنتشرة في كل مرتع سقيم. لا نحتاج إلى الإطالة في ارتكاسات هذا (الراسب الإلهي) الفريسي وتشويهه الخلفية النفسية العامة لشعب كان يمكن أن يصير شعبا، أو اجتماعا إنسانيا، لو آمن بالله رب العالمين.

وفي الإسلام: الله رب العالمين «في مقابل عقيدة اليهود في إلههم أو ربهم يهوه»

فإن الله في الإسلام: كتابهِ وسنتِه وتراثِه، هو رب العالمين سبحانه وتعالى، هو رب البشر كافة والمخلوقات كافة، والأكوان، أو العالمين كافة.

هو ﴿**الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلَهُنَّ يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما**﴾ (الطلاق: ١٢).

فهو تعالى: ﴿**فاطر السماواتِ والأرضِ.. ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ (الشورى: ١١).

﴿**قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كُفُواً أحد**﴾.

خلاصة تنزيهه بالأحدية والصمدية، وحبَّة العِقْد في الإخلاص له والإيمان به عز وجل. وقد أهداها نبيه الكريم، إذ جاءه المشركون يسألونه في (نسب) ربه. أو اليهود يسألونه في (وصف) ربه. (وردت بالسببين).

«قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثُلُت القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: قل هو الله أحد الله الصمد، ثلث القرآن» رواه البخاري.

وإذا جاءه المشركون يساومونه في ربه ودينه، أهداه الله تعالى: ﴿**قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينُكم ولي دينِ**﴾.

وقد مَنَّ الله تعالى على المسلمين - والبشر كافة - بذكر صفاته وأسمائه الحسنى، فهو وحده صاحب المشيئة المطلقة، الإرادة المطلقة، والعلم المطلق، واجب الوجود. موجود بذاته، غني عن العالمين.

﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو المِلِكُ القُدُّوسُ السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق الباري المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم**﴾ (الحشر: ٢٣-٢٤).

أقف عن أن أضيف حرفاً على آياته العظيمة، وما فعلته إنما كان توفيقاً، من أجل المنهجية، بين الآيات والعبارات والألفاظ، وإن هو إلا بتوفيق الله. ذلكم هو المفهوم الاعتقادي الراسخ في المسلمين عن الله رب العالمين.

وقد رأيت عند غيرهم ما رأيت، من عبادة أحقاد وأطماع وأهواء وكبائر سموا رواسبها واشتقاقاتها وعُقَدَها (ربا)، ومن عبادة نبي لم يشأ لقومه أن يعبدوا غير الله، ومع ذلك - ومن أجل الأناجيل نظرياً وحسب - فإن في النصرانية محبة ورحمة وتسامحاً وإنسانية.

ولكن كيف كان انعكاس (معنى الله) في نفوس المسلمين - عقولهم وقلوبهم وأفئدتهم، وفي سلوكهم وفتوحهم وتعاملهم مع الإنسان، وفي ثقافتهم وتربيتهم؟ هذا ما توضحه الفقرات الثلاث التالية:

القيم الإنسانية في التربية الإسلامية

يرصد الفيلسوف الفرنسي لويس لافيل (١٨٨٣-١٩٥١) أنماط القيم في الاجتماع الإنساني، فهي: الاقتصادية - الانفعالية - العقلية - البديعية - الأخلاقية - الروحية، وبعضهم - أضاف (أو فرَّع) الحقوقية.

«وهو يعتمد النظر أولاً إلى الإنسان في العالم، ثم إلى الإنسان أمام العالم، ثم إلى الإنسان فوق العالم، والنظرة الأولى تتناول القيم الاقتصادية والقيم الانفعالية، والنظرة الثانية تشمل القيم العقلية والقيم البديعية، أما الثالثة الأخيرة فتضم القيم الأخلاقية أولا، ثم القيم الدينية أو الروحية بالمعنى الصحيح، وهي تاج القيم جميعا»[٢١].

وليس في الأمم والشعوب و(الديانات والمذاهب الأخلاقية، والأنظمة والفلسفات التربوية) كالمسلمين من حافظ على «تاج القيم الأخلاقية والروحية» نقياً طاهراً في مؤسساتهم التربوية الدينية، والاجتماعية والمدرسية والجامعية، وفي فتوحهم وفقههم وتراثهم وتعاملهم مع الإنسان، بل ومع الكائن الحي.

الرحمة في الإسلام

برهاننا عليها دستورُنا. كتابُ الله العظيم، فما من سورة فيه إلا وكان تاجها «بسم الله الرحمن الرحيم» (لعلمه وإرادته استثنى براءة). هذا التاج الذي لم يدرك كنه عظمته غير المسلمين، ولمهابته وجلاله فهم لم يزعموا ذلك إلى غايته، كما لم يزعموه بشأن كنه كتاب الله كله. فحسْب المسلمين أن يتدبروه، فيفهموا منه ما يبقيهم على دين الله، وينظم شؤونهم من فروض وعبادات وتعامل سليم مع بعضهم بعضا، ومع الأمم والشعوب لتحقيق الاجتماع الإنساني القويم، وحسْب المسلمين أن يقولوا «آمنا به».

ولو جئت تحصي ما في كتاب الله من ألفاظ الرحمة واشتقاقاتها، وما يتفق معها في مدلولها لكنت فيها وحدها أمام كتاب محض في الرحمة والرأفة والمغفرة والتجاوز عن السيئات، ولست أشعر بالحاجة إلى إيراد الآيات الكريمة، فالمسلم يفتتح بعصارة روحه: «بسم الله الرحمن الرحيم» كلَّ نأْمَة من حياته، ولمهابتها وجلالها ومدلولها المنعم بالنفح الإنساني فإن غير المسلمين أيضاً باتوا يفتتحون بها ويتباركون، وهذا من معطيات التطور الثقافي.

المساواة والتسامح في الإسلام

المعاني الأخلاقية والروحية لا تتجزأ، إنها وحدة واحدة في كل فطرة إنسانية نقية، وإنها لكذلك في جميع ميادين التربية الإسلامية: في البيوت والمساجد والزوايا والكتاتيب والمدارس والجامعات والمصانع.. في كل مكان يتناجى فيه مسلمان بذكر دينهم، فالرحمة والعدل والمساواة والتسامح والإحسان.. تشكيلةٌ نادرة في مزهرية واحدة اسمها التربية الإسلامية. وأعني بالنادرة هنا ندرة اجتماعها في غير الإسلام.

التربية الإسلامية والتربية الغربية

تعودنا أن نهتم في دراساتنا التربوية بالوجهة الوصفية الإحصائية النقلية، فنعقد المقارنات والدراسات بمدلولات وجداول وروائز وتصنيفات غربية، وأن

ننظر إلى الطرائق الغربية، معجبين بما قدمه هذا العالم أو ذاك، دون أن نسعى بجدية كافية إلى أن يكون العالم منا، طالما أن المادة الخام منا (عناصر العملية التربوية)، والمختبَرَ منا (المخبر النفسي المدرسي). بل ودون أن ننتبه إلى قضية علمية محضة، هي أن المستورَد في مجال التربية أقل صوابا ويقينا مما هو من صنع البلد.

إن الإفادة من تجارب الآخرين أمر مهم، لكن الإبداع والابتكار - صدورا من الطَّيف النفسي العام لأمتنا، ومن واقعنا وظروفنا، وبوحي من معاييرنا وخصائصنا الروحية والأخلاقية - أكثر أهمية وإلحاحا، وأصدق يقينا علميا. والمربون يعرفون - بدون غرور أو اجترار للماضي - أنهم من أمة كانت سباقة على كثير من الأمم في أجناس الثقافة خاصة، وأنهم يمكن أن يكونوا اليوم كذلك، ولعلهم يثقون بأن أياً من أسلافهم المربين كان يمكن أن يكون بديلاً عن (جيمس وبينيه وديوي) وغيرهم، بل وأعظمَ منهم، لو توافرت في مكانه وزمانه المؤسسات والأدوات والوسائل، التي توافرت في مجتمعات هؤلاء وزمانهم، لأنه كان سيقدم فلسفة تربوية نَدْيانة عابقة بالقيم الروحية، يستقيها من دينه الحنيف، لا كما قدمها جيمس وديوي على الطريقة الأمريكية جرداء جافة كتيمة بطريقة «دفع القيمة على الصندوق»، أو كما قدمها (دوركهايم) على الطريقة الفرنسية «دنيوية محضة بعيدا عن الكتب والديانات السماوية» وهذا حكم تبرهنه المقارنة بين أهداف التربية عندنا وعندهم، أو بين ما نحتاجه: (لا تفيد المقارنة الجدولية هنا لتعدد النصوص وتنوعها وطول بعضها وقصر بعضها الآخر).

من أهداف التربية الإسلامية

١ ـ جاء في الدستور السوري ١٩٥٠ ما يلي (بإيجاز شديد):

«إلزامية التعليم الديني في جميع المدارس» وقصد بذلك الرسمية والخاصة[٢٢]. ومنه أيضا: «يجب أن يهدف التعليم إلى إنشاء جيل مؤمن بالله، متحل بالأخلاق الفاضلة، معتز بالتراث العربي».

٢ ـ ومن القانون الأردني رقم ١٦ لعام ١٩٦٤ نجتزىء:

«- الإيمان بالله والمثل العليا للأمة العربية

- الاعتزاز بالقيم العربية والمثل الروحية»[٢٣].

٣ ـ وعلى نطاق كل العرب: فقد جاء في ميثاق الوحدة الثقافية، الذي أقره مؤتمر وزراء التربية العرب في شباط/ فبراير ١٩٦٤ ما يلي:

«يكون هدف التربية تنشئة جيل مؤمن بالله...»[٢٤] وعلى نطاق البحوث الفردية: «تشتق أهدافنا في التربية من معتقداتنا الدينية وتقاليدنا، فإن ديننا وتقاليدنا تقدس القيم الروحية، وتؤمن بالله والرسل، وبالثواب والعقاب في الآخرة»[٢٥].

أهداف التربية الغربية

نختار منها ما يؤهِّل للمقارنة مع أهدافنا المعروضة، نعني مع ما نصت عليه الأهداف التربوية العربية الإسلامية في ميادين الأسس الروحية، وفي مقدمتها الدين، لأنه الأساس عندنا لجميع ميادين التربية الأخرى، كما ذكرنا مرارا.

يرى جون ديوي «أن الألوهية فينا، وليست في تلك القوى الكونية الحيادية بذاتها، فقد هبط العقل من برجه العاجي، حيث كان يؤثر كمحرك ثابت لا يتحرك (يشير إلى فلسفة أرسطو) وكخير أسمى يتطلع إليه الكون متلهفا.. ومن هنا يترتب علينا أن نؤمن بالأرض، وأن نرد الميتافيزياء، ونعتبرها صدى اللاهوت.. وتمويها يستر العقل، ويخفيه عن البيان»[٢٦].

إن في هذا الرأي فساداً واضحاً: فالتربية الدينية (اللاهوت) لا تفسد العلم، ولا تغلق العقول، خاصة إذا قُيِّضَ لها من يضعها في تربية الأجيال على مسار المشيئة الإلهية (إلا إذا كان يتحدث عن توراة الأحبار والكهنة).

والتربية الإسلامية لا ترى في الإنسان الناجح في «المشاغل النافعة» وهو مجردٌ أجردُ من المثل الروحية الدينية، أكثر من آلة تؤدي عملها بإتقان وإنتاجية متقدمة(*). والتربية الإسلامية لا تنتقص من شأن الحياة العملية المادية والمشاغل النافعة، ففي القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ثَبَتٌ رفيع مما يحض على السعي والعمل، وقد رُسِّخَ الكثير منه في مناهجنا على مستوياتها المختلفة. فعلى المربين عندنا أن يسلكوا سلوك الفرسان والمحاربين لدفع جميع وسائل وأساليب الغزو التربوية (مصطلح أقترحه)، ولإبقاء الأسس الروحية الدينية موجِّهة هادية في نفوس أجيالنا وهم يسعون إلى النجاح في الحياة العملية والمشاغل النافعة.

مثال من فرنسا

يقول (دوركهايم) المربي الكبير، والأستاذ الأبرز لتدريس الأخلاق بالسوربون، ومؤسس المدرسة الشهيرة في علم الاجتماع الفرنسي: «لقد استقر عزمنا على أن تكون التربية الخلقية التي نلقنها لأبنائنا في المدارس ذات صبغة دنيوية محضة، ونعني بذلك التربية التي لا تستند إلى المبادىء التي تقوم عليها الديانات المنزلة»(٢٧).

وما هذا إلا غيض من فيض لا تتسع المساحة لأكثر منه، ولا نحتاج إلى زيادة.

وما قبل وبعد ديوي ودوركهايم من المربين المنظرين كثير، ومن فلسفاتهم التربوية تولدت جحافل الملحدين والماديين والوجوديين والمستهترين بجميع القيم الروحية الدينية والأخلاقية، من مقاهي سارتر، إلى نوادي العراة، إلى بيوتات سيمون دي بوفوار، وفرانسوا ساغان، ومنه تهتكت الأسرة، وتفسخ المجتمع وحصد الحشيش أدمغة الأجيال. إن التربية التي تبتعد عن الله، أو عن الأسس الروحية، إنما هي تربة مناسبة لنمو الأعشاب الضارة، إنها الإيدز التربوي.

---

* نمط «الأداتية» (instrumentalism) عند ديوى محاولا تطويره وفرزه عن المذهب الذرائعي في «مدرسة شيكاغو».

الوظيفة الثانية – الرواسب الفريسية في التنظير والتطبيق.

من دراسة التوراة (ونعني بها دائماً أسفار الشريعة الخمسة وأسفار العهد القديم) يمكن استخلاص العُقد اليهودية، أو الرواسب الفريسية النظرية التالية:

١ ـ أطماعهم بأرض العرب «أرض كنعان – وأرض الكنعاني» (الراسب الأقدم).

٢ ـ النزوع المزمن إلى التوسع، فلم يلبث الكهنة أن (طوروه) من راسب أرض كنعان إلى راسب الأرض التوراتية، وعُقْدتُهما معاً راسب الفردوس المفقود وسوف ترى (في الوظيفة الخامسة منه هذا البحث) كيف يستمسك به الفريسيون المعاصرون.

٣ ـ استعدادهم الدائم للتراجع عن العهود والمواثيق، راقبْهم في تعاملهم الجاري مع المفاوض العربي، تصلْ إلى «اشتقاق» متحوِّلٍ «متموِّج» لراسب توراتي يقول: «لا تقطع عهدا...».

٤ ـ عنصريتهم المؤسسة على راسب «الاختيار»، وقد قابلتهم النازية به.

كما يمكن استخلاص القواعد التطبيقية التالية، مسحوبةً إلى زماننا هذا وهي اشتقاقات مرَضية تولدت من عُقَدهم ورواسبهم النفسية السقيمة:

١ ـ طباعهم في الغدر والمكر والتشنج حِيال المجتمعات التي يعيشون فيها.

٢ ـ عدوانيتهم السادية (Sadisme) وقد قوبلوا بمثلها في معظم البلدان الأوروبية، اسبانيا، والبرتغال، والمانيا، وفي القدس زمان الغزو الصليبي.

٣ ـ أساليبهم المتنوعة المنبوذة إنسانياً في اقتناص الثروات والسيطرة على اقتصاد المجتمعات التي يعيشون فيها، وبالتالي السيطرة على السياسة.

٤ ـ يعززون الاشتقاق السابق باسترخاصهم أعراضهم، وهي قاعدة معروفة ومشهورة عنهم في التاريخ الحديث، لأنها من رواسبهم النظرية والعملية القديمة. (راجع سفر أستير كله توثيقاً)، وليس هذا بالغريب عليهم،

بعد أن أسسوا تربيتهم على الفواحش. إذ يستطيعون أن يقولوا: لقد فعلتها زوجة النبي فلان برضاه وقناعته وتخطيطه (لفّقوها لإبراهيم ولوط عليهما السلام)، وفعلتها ابنتا لوط بأبيهما (غير الحادثة السابقة)، وفعلها (راؤبين) مع (بلهة) سرية أبيه يعقوب النبي، ولم تذكر توراتنا أن يعقوب لام ابنه أو غضب عليه (أو عاتبه). (تكوين ٣٥:٢٢)، وفعلها جدنا يهوذا بن يعقوب النبي بكنته ثامار، وأولدها توأمين (التكوين - الإصحاح ٣٨ كرسوه كله لهذه الرواية).

هذه ليست جُملاً، إنها قصص تشغل مساحات واسعة في التوراة، اكتفيت بالإشارة إلى بعضها برهاناً على ما نطرحه، وهو أن شعباً يتربى على الفواحش ثلاثين قرناً لا بد من أن يكون مستعداً لارتكاب أشنع الكبائر والجرائم والرذائل.

٥ - زرعهم يهود العالم في عصابات لكل ميدان، كمنظمات الإرهاب وفرق الجرائم، وترويج الحشيش والجنس تجارة وإفسادا، ولا تحسبن هذا السلوك معاصرا وحسب، إنه مزمن إزمان الفريسية الأصلية، والباحثون يرجعون تأسيس الماسونية إلى سنة سبع وأربعين قبل الميلاد، ومنها تفرعت إلى اليوم امتداداتها، وعشعشت في أقحاف وأصلاب جميع أصناف المافيات في العالم. وبعضهم يرجعها إلى أبعد من ذلك بكثير، وهم عن طريقها - وبما وفروه لها من وسائل الترغيب والترهيب - تمكنوا من اختراق النصرانية الغربية كنائسَ وسياسيين. وعليه، فإن الفريسية هي التي اخترقت النصرانية منتهية بها إلى فريسية نصرانية، وليس العكس. وما أوقعه النصارى باليهود من أهوال وكوارث لم يُثن المنظمات الفريسية المنتشرة في العالم عن محاولاتها صيد الكنائس والسياسيين، بل زادتها زخما وإقبالا وتنويعا بالوسائل، حتى (أثمرت) في نهاية الحرب العالمية الثانية.

تلكم هي بعض الأسس النظرية الراسبة في الخلفية النفسية العامة لليهود، وتلكم هي اشتقاقاتها التطبيقية التي يتربّى عليها اليهود، وتتناقلها أجيالهم، وتعيش على سقمها اللاإنساني منذ ثلاثين قرنا.

وليس ثمة راسب نفسي مما ذكرنا - ومما لم نذكر - إلا وله نصوص كثيرة في التوراة، وبعضها كثيرة جدا، وما أكثروا بعضها - كراسب الفردوس المفقود، وهو الديار العربية - إلا ليُرسوها أساساً أبدياً في أحلام وأوهام اليهود، عن طريق أنماط تربيتهم الرسمية وغير الرسمية.

بعض الرواسب التربوية الفريسية - نصوص وتحليل

ابتداء أنوه بأني سأعتمد في توثيق الاشتقاقات والرواسب على التوراة بالدرجة الأولى، ليكون العرض الاستدلالي كافاً مكفوفاً، ولأمر يتعلق بالتربية النصرانية، فإذا احتج أتباعها قلنا لهم: هذا برهاننا استقيناه من العهد القديم، الذي ارتضيتم ضمه إلى كتابكم، أو ضم كتابكم إليه.

أطماعهم بأرض العرب (راسب الأرض التوراتية)

من أجل تكريس الوعد بالأرض العربية راسباً ثابتاً في الخلفية النفسية العامة لليهود، فقد نشروا له من النصوص التوراتية على لسان (يهوه) ما يصعب حصره، حتى لنحسب التوراة كلها موضوعة لأجله، إنك لتجد النصين أو الثلاثة في السفر الواحد، وأحياناً في الإصحاح الواحد، تتناول الوعد (الرباني) بتمليكهم أرض العرب، وإليكم منها:

١ ـ «وقال الرب لأبرام (إبراهيم).. ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً. لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد»[٢٨]. ونسل إبراهيم المخصوص بالميثاق هم اليهود فقط، إليكم توثيقها: «وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامها. فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحق.

وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأُثْمره وأكثره كثيراً جداً (كثرة العرب). ولكن عهدي أقيمُه مع إسحق» (تكوين ١٧ : ١٨-٢١).

لقد جعلهم راسب العنصرية يصادرون إسحاق جداً لهم وحدهم، (ويتحررون) من إسماعيل ليكون جد العرب وحدهم. وكان إبراهيم إذ ذاك في «أرض كنعان»، وليس هو ولد أسرة النبوة من يعترض المسلمون، أو يُنكرون عليهم إعطاءَهم الوعد الإلهي الحق، هم يُنكرونه على فُضالات الشعوب المنضافةِ إلى موسى، والمدعيةِ أنهم من نسل إبراهيم ويعقوب، أو أنهم «بنوا إسرائيل» وأكثر من ذلك: أنهم «بنو الله».

فلما توطن إبراهيم في أرض كنعان، وفي أرض الحجاز، بأسرتيه من سارة وهاجر، إنما توطن في دياره لا في ديار غريبة، اليهود فقط هم الذين سموه غريباً على تلك الأرض، وسموها «ديار غربة»، (له وللأنبياء الآخرين - نصوصها كثيرة) والحقيقة أن العبيد الآبقين، والشراذمَ المشردة المنبوذة من أمم وشعوب كثيرة. والموصوفةَ أصولُهم وطباعهم الذميمة في دراسات غربية (لوبون، توينبي، ديورانت، دي فو، بوكاي، غارودي، سبينوزا الفيلسوف اليهودي الشهير) أقول إن هؤلاء المشردين بطباعهم وتربيتهم، الذين كانوا بحاجة إلى (وعد) بتمليكهم أرض اللبن والعسل، بعد إبادة شعوبها، فأنطقوا به (يهوه) ربهم الجاهز المصنوع من أهوائهم وأطماعهم لمثل هذه الأباطيل، وخرَّجوه لأجيالهم المتعاقبة وصولاً إلى التاريخ المعاصر، فأرسَوه بطريق التربية الاجتماعية - الدينية المدرسية، راسباً نفسياً (psycho residu) لا يمحوه الزمان، بل يزيده رسوخاً وانتقالاً إلى التربية الفريسية المعاصرة.

ما نزال في النصوص القديمة عن (راسب الطمع بأرض العرب) نعرضها ونحللها ونسحبها على التربية المعاصرة، ونعني بها التربية التوراتية التلمودية، وهذا على مدار البحث، وعلى طريقة باريتو - وهي خلفية البحث - فنحن لن

نأخذ بالتربية المدرسية (pedagogy). فما هي إلا اشتقاقات إسرائيلية متبدلة «متموجة» نحن نأخذ بما هو أعمق، نأخذ «الأصول والجذور والعُقد والرواسب».

٢ ـ زعموا ابتداء الوعد لموسى غَبَّ الخروج من عند فرعون، أو بعد الخطة التي وضعها لهم (الرب) للخروج خلسة «سالبين محمِّلين الأبناء والبنات كل ما يستطيعون استعارته من جيرانهم المصريين، بل وحتى من الخادمات من ذهب وفضة وثياب[٢٩] (لفظ السلب بحرفه من الموضع المذكور).

أما الوعد لموسى فهذا نصه: «أرسل هيبتي أمامك وأزعج جميع الشعوب.. وأعطيك جميع أعدائك مدبرين. وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحِوِّيين والكنعانيين.. وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر. فإني أرفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك لا تقطع معهم عهدا. لا يسكنوا في أرضك»[٣٠].

أنها أوامر الكهنة الذين تولوا تربية اليهود، وما زالوا يتولونها، ويُركِعون لها التربويين والعسكريين والسياسيين، ولا يمكن أن تشذ عنها المناهج المدرسية بجميع مستوياتها قيد أنملة. بل ويخضعون لها مؤسساتهم الثقافية، بعد التذكير هنا بالفروق الفردية.

نصوص قيد المقارنة (قديمة ومعاصرة)

قلنا إننا سنأخذ الرواسب النفسية الفريسية من رأسها، والرأس هنا هم القادة الذين غرزوا خنجر إسرائيل في مهجة العرب والمسلمين، لا المعلمون والمدرسون والمدارس والمناهج المدرسية، مع إكبارنا لدَورهم ودورها في المجتمع السوي:

- يقول موشي دايان، أحد أكبر الخناجر المسمومة التي غرزت في مهجة العرب والمسلمين: «إذا كنا أصحاب التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فينبغي لنا امتلاك الأراضي التوراتية، أراضي القضاة والشيوخ»(٣١).

هذا نص معاصر، وإليكم - من أجل المقارنة - النص المزمن الذي يحدد الأرض التوراتية: «الرب إلهنا كلمنا في حوريب قائلا كفاكم قُعودٌ في هذا الجبل. تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكلَّ ما يليه من العربة (وادي عربة) والجبلَ والسهل والجنوب وساحلَ البحر أرضَ الكنعاني ولبنانَ إلى النهر الكبير نهر الفرات. انظر قد جعلت الأرض أمامكم. ادخلوا وتملكوا الأرض»(٣٢).

ومن أجل المقارنة إياها، أعني بين الرواسب التربوية اليهودية المزمنة والحديثة والمعاصرة بخصوص الأرض التوراتية، إليكم النص التالي كما ينقله روجيه غارودي: «حدد تيودور هرتزل في كتابه «الدولة اليهودية (Jueden State) حدود إسرائيل فقال: شمالاً جبال تركيا، وجنوباً قناة السويس، وشرقاً نهر الفرات»(٣٣).

حاصرنا النص التوراتي المزمن بنصين حديث ومعاصر، وجعلناها مكثفة متجاورة تسهيلاً للمقارنة واستغناء عن الجدولة. فقارن، أثابك الله.

وليس في العالم من لا يعرف أن (لإسرائيل المعاصرة المتحضرة) مُعَلَّقةً على جدار عُكاظها البرلماني (الكنيست)، تحتوي على بيت أو مقطع واحد من الشعر الحديث يقول: حدود إسرائيل من الفرات إلى النيل. ولا بد من أن يكون بعض القادة العرب قد شاهدوها معاينةً وعُرِّبت لهم وأُعربت. وهم بعدئذ، إما ندموا، وإما (طنَّشوا)، وإما خَبَّؤوا رؤوسهم خلف الغربال، يرون ولا يرون، وإما كبَسوا القيحَ على الدم و... ناموا.

أعرف أنها لغة على غير ما هو مألوف في البحث العلمي المجرد الأجرد الناشف، لكن، ما حيلتي - وحيلتكم - إذا كان بيت الشعر المشؤوم معلَّقاً في شَغاف العرب والمسلمين؟

فهل نحن بعد ذلك بحاجة إلى التفتيش عن الرواسب في المناهج التربوية (لدولة إسرائيل)؟ وأي متحرر، أو جريء، أو أحمق، من علماء التربية الإسرائيليين يستطيع أن ينظِّر بما يناقض الرواسب المزمنة، أو يغفلها، أو يحيد عنها؟ حتى إذا أدخلوا في مناهجهم التربوية قليلا أو كثيراً من الأهداف الإنسانية فإنها لن تكون - بخصوص العرب والمسلمين - إلا تمويلها، إنها تثقيف مزيف، فإذا أخذنا بالنتائج الموصوفة والمشاهدة - وفق باريتو - فنحن لن نشاهد غير (إنسانيتهم) في رقاب المسلمين وديارهم.

راسب الانغلاق واشتقاقاته

بعض الأوامر اليهودية موجه - كما في الوصايا العشر - بصيغة الوصية، ومنها: «احفظ ما أنا موصيك اليوم (يخاطب موسى). ها أنا طارد من قُدَّامك (يَعدُّون ستة شعوب). احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التي أنت آتٍ إليها.. احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض»[٣٤].

ذلك راسب العزلة، ومن اشتقاقاته التهيؤ للتراجع والتحلل من أي عهد أو ميثاق تفرضه عليهم الظروف. ونصوصه - كراسب الأرض - كثيرة جدا.

فكيف يمكن أن يكون شعب تربَّى على مثل هذه العُقَد؟ سؤال أوجهه - والقراء معي - إلى المسلمين المعاصرين، وهم يعلمون أن الفريسيين المعاصرين يستمسكون بأوامر يهوه حتى آخر أقحافهم وأسناخهم، ويُدسِّمون به تربيتهم.

مرة أخرى أقول: إن هذا الأساس التربوي التوراتي مستقر في خلفيتهم النفسية العامة راسباً نفسياً حتى لا فكاك منه ولا مناص، خاصة وأن الفريسيين المعاصرين يوظفونه في خدمة مصالحهم وأطماعهم غير المحدودة. يشجعهم على ذلك أحوال العرب الحاضرة المريرة.

ويبين علم النفس الاجتماعي أنه حتى الخرافات والأباطيل، وجميع عناصر التربية السلبية، تتحول إلى رواسب نفسية، تزداد رسوخا كلما مر عليها الزمان، وتتولد منها اشتقاقات هي أنواع في أجناس تسود حياة الأمة أو الجماعة، وتحدد هويتها النفسية والطَّبعية والتربوية..

والنص السابق يكشف بوضوح انعزالية اليهود ورفضهم الالتزام بما يجري بينهم وبين الشعوب من عهود ومواثيق لا يستقيم الاجتماع الإنساني بدونها. ومثل هذا الشذوذ عن الطبع الإنساني هو المسؤول عما أصابهم من الغرب، وليس ضَرْبُهم الحَدَّ من قبل الغرب هو الذي أوصلهم إلى الشذوذ. أعني: ليس الغرب هو المسؤول عن انحرافهم، بل تربيتهم التوراتية التلمودية الراسبة هي المسؤولة. وقد رأيت أن في خلفيتهم النفسية من التشوهات والمفاسد ما يجعلهم في غنى عما عند الغرب: عندهم نازية مستمرة، ونازية الغرب انتهت أو تكاد، عندهم نفعية، ذرائعية، براجماتية، وصولية، غش، ازدواجية.. مما يمكنهم تصديره، أو تسريبه إلى الغرب، بالرغم مما عند الغرب من هذه (النعم).

ونحن نُفيد في تربيتنا العربية الإسلامية من الوسائل والأجهزة الغربية، بل ومن بعض أساليبه وطرائقه، إلا أننا نأبى أن نُفسد تربية أجيالنا العربية المسلمة بروح التربية الغربية وقد شابتها الرواسب اليهودية. أجل، هذا ما نفيد منه، وذاك ما لا نفسد به. ونحن منفتحون على ثقافات العالم، ولكن باصطفاء، وما كان المسلمون يوماً عرقيين عنصريين، وما كان اليهود، وأبناء عمهم، يوماً إلا عرقيين عنصريين، خاصة تجاه العرب والمسلمين.

السادية الفريسية، قيد المقارنة

عندما تقرأ التوراة يصيبك الذهول فعلاً من أنماط الجرائم وأفانين المجازر التي نفذوها بشعوب أرض كنعان»، بل إن المرء لا يكاد يصدق أن الفريسيين أنفسهم قد أقدموا عليها حقا، حتى ليخامره الظن بأنهم اختلقوها في توراتهم

لأسباب تربوية من أجل زمان مقبل، أو لأسباب من قبيل التبجح والاستعراض التراثي، فهي أخبار وروايات يعجز الخيال عن استيعابها، وهم يعرضونها بوصف ملحمي تفصيلي دقيق مرعب.

سأكتفي بالقليل منها، فالإحاطة مستحيلة في أي بحث، لأنها سيل من أخبار الإبادة وقتل الشعوب تماماً، رجالاً ونساء وأطفالاً، بوحشية لا مقياس لها ولا قياس. ابتداء من ثغور ما تسميه التوراة أرض كنعان، شعبا بعد شعب، مدينة بعد مدينة، مملكة بعد مملكة، سبعة شعوب في سبع ممالك. وإن شئت أسماءها، فهي: الحثيون - الجِرجاشيون - الأموريون - الكنعانيون - الفِرزِّيون - الحِوِّيون - اليبوسيون. وفروعها عديدة. تصف التوراة إبادة هذه الممالك وقتل شعوبها بأسلوب سادي متفرد، كما في التسمية المعاصرة، وهي سادية جماعية بقتل جماعي، وقد (رصعوها) بساديات فردية مراراً: ولنبدأ بواحدة منها:

«وكان بعد موت يشوع (يوشع عليه السلام) أن بني إسرائيل سألوا الرب قائلين من منا يصعد إلى الكنعانيين أولا لمحاربتهم. فقال الرب. يهوذا يصعد. فصعد يهوذا. ودفع الرب الكنعانيين والحويين بيدهم فضربوا منهم في بازَق (اسم مكان) عشرة آلاف رجل. ووجدوا أَدوني بازَقَ (حاكم المنطقة) فحاربوه.. فهرب أدوني بازق. فتبعوه وأمسكوه وقطعوا أباهم يديه ورجليه. وأتوا به إلى أورشليم فمات هناك»[٣٥]. لعلها السادية الأقدم في هذا (البرج الآدمي). قطعوا أباهمه أسيراحيما مهزوما فزعا، ليرسخوا السادية في الخلفية النفسية العامة لأجيال اليهود، أو ليرسخوا في تربيتهم (الدينية) أن أي صنف من الوحشية جائز ومبرر توراتيا.

ولقد نجح الفريسيون القدامى بنقل ساديتهم إلى الفريسيين المعاصرين، والقرائن الجماعية والفردية أكثر من أن تحصى، أقف عند واحدة: فقد شاهد العالم كله جنود (جيش الدفاع) السادي (الأشاوس) يكسرون الأذرع والأضلاع الحية (والمرء يأنف من كسرها ميتة) في أطفال معاذيل يرتعدون خوفاً خلف

صخور البرية، يتدرَّؤون بها، ويَدرَؤون جماجمهم بتلك الأذرع الضعيفة، كما شاهدهم ينفثون حقدهم. ويصرفون عقدهم ورواسبهم بأجساد الأطفال الضعيفة حقنةً حقنة. رفسةً رفسة، على الخواصر والرؤوس بأحذيتهم العسكرية، شاهد العالم واستهجن واستنكر وبكى، وعرف أنها الحضارة الصهيونية السادية المعاصرة منقولةً عبر تربية فريسية مترسبة في الخلفية النفسية لأولئك الجنود (الأشاوس) شرَّبتهم سمها المحافل والمدارس والمناهج.

ومن سيل الأوامر (الربانية) الموجهة بمعظمها إلى (الغازيين الرهيبين) موسى ويوشع عليهما السلام، لتصفية شعوب أرض كنعان بوحشية سادية جماعية. أكتفي بنصين، مع إعادة التنويه ببراءتهما من أباطيل الكهنة الوضاعين.

- «وقال الرب لي. انظر. قد ابتدأت أدفع أمامك سيحون وأرضه.. فخرج سيحون للقائنا.. فدفعه الرب إلهنا أمامنا فرضبناه وبنيه وجميعَ قومه. وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرَّمنا (قتلنا) من كل مدينة الرجالَ والنساء والأطفال. لم نبق شاردا. لكن البهائم نهبناها»[٣٦].

من الواضح أن عبارة «لم نبق شاردا» تعني الإبادة الجماعية الكاملة، وهي مكرورة في مواضع توراتية كثيرة، وما ذاك إلا تجويز للسادية عبر تربيتهم الدينية والبيداغوجية.

«وكلم الرب موسى قائلا. انتقم نِقمة لبني إسرائيل من المديانيين.. فتجنَّدوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر (استحيوا النساء وهذا تقصير).. وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم. ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميعَ حصونهم بالنار. وأتوا إلى موسى.. فخرج موسى وألعاذر الكاهن لاستقبالهم.. فسخط موسى على وكلاء الجيش (لاستبقائهم النساء) وقال لهم موسى.. فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة. ولكنْ جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات»[٣٧].

وفي نصوص توراتية مطولة يقسم (ربهم) غنائم الحرب بنسب محددة حسب الشرائح. ومنها العذارى، ويفرض لنفسه حصة منهن، يكلف موسى وألعازر الكاهن بالقسمة، فمن المجزرة المديانية المذكورة في النص السابق كانت حصة (يهوه) اثنتين وثلاثين عذراء مديانية! وقد أمر موسى بأن يسلمهن للكاهن ألعازر، ففعل[٣٨]. هذا، والأمر (الرباني) اقتل رجلاً وامرأة وطفلاً رضيعاً» يتكرر كثيراً في الكتاب (المقدس).

إذن، كان حقدهم على شعوب الديار العربية بلا قياس. وهو حقد مجاني بغير أدنى سبب سوى أطماعهم بالأراضي العربية. بل هو حقد قائم على رواسب الغدر والمكر والاستجابة للخير بالشر، فقد أحسن العرب إليهم، وأشفقوا عليهم غَبَّ العبور والخروج من مصر، حيث وصلوا الديار العربية مشردين تائهين ضعفاء متهالكين، حتى أن (ربهم) جعل «الزنابير» تحارب عنهم في بدايات غزوهم الممالك العربية.

لقد أسكنهم العرب وشعوب المنطقة بين ظهرانيهم، وفتحوا لهم أبواب الرزق والسعي والحياة. ولما أن امتلكوا القوة راحوا يقتلون تلك الشعوب بسادية جماعية متفردة، ويبيدون تلك الديار شر إبادة.

هذا، وتشير التوراة إلى اختلاف حكام تلك الممالك واحترابهم، الأمر الذي ساعد الفريسيين على تحقيق أطماعهم، فهلَّا تنبَّه العرب المعاصرون واعتبروا؟!

راسب الاختيار - اشتقاقه العنصرية

عندما أصدرت الأمم المتحدة القرار /٢٢٧٩/ تاريخ ١٠/١١/١٩٧٥ باعتبار «الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية» كان المجتمع الدولي يعرف أن العنصرية راسب متجذر في نفوس الإسرائيليين، وكان يعرف خلفيته التربوية على جميع الميادين، وكان مستعداً لإصدار ذلك الحكم، حتى وإن لم يعد إلى مقدماته

التربوية، كانت تكفيه «النتائج والمشاهدة» حسب الشروط العلمية عند باريتو. وقرار المجتمع الدولي، وتحليلنا لمسبباته، يظل علما. حتى وإن تشظَّى إلى دين وسياسة. إذ لسنا نحن من شظَّاه ومدَّده، بل التربية الفريسية هي التي أوصلته إلى هناك. وقد حُسب ذلك القرار انتصاراً للعرب والمسلمين والعالم الثالث، وانتصاراً لمنهجية كانت سائدة آنذاك، هي «تصفية بقايا الاستعمار والاستيطان» حتى أن الصهيونية توئمت آنذاك بالعنصرية في جنوب أفريقيا، وبالفاشية والنازية البادیتین منقرضتين.

أجل، كان ذلك الموقف العالمي قطافا من ثمار نضال الشعوب، فماذا حل بتلك الشعوب؟ هل تعبت فأصبحت مهيضة الجناح تجاه الصهيونية، فلا تحلق في عالم الحق والعدل؟ ولعل من الأَوْلى أن نتوجه بهذا السؤال إلى العرب والمسلمين.

لقد وصلت الرواسب الفريسية، أو (الفيروس) الصهيوني إلى أقحاف وأصلاب وأسناخ الكنائس والسياسيين لا بعصا سحرية، ولكن بعد عناء طويل وزمان أطول. وقد مررنا على هذا الأمر مرارا، سابقاً وحاضراً، بل وبنينا عليه البحث كله، وتحدثنا عن إزمان الصهيونية والماسونية وأنهما كانتا، وظلتا، تسعيان لاصطياد النصارى من زمان عيسى عليه السلام حتى قطف الفريسيون ثمار عنائهمالطويل في نهاية الحرب العالمية الثانية. بعد أن (بشرهم) بها وعد بلفور.

ومع أن ذلك الموقف الأممي كان طيبا، فضلاً عن أنه كان الممكن الوحيد أو الأخير لتضامن ونضال شعوب العالم الثالث بعامة، والشعوب العربية والإسلامية خاصة، فإنه لم يكن كافيا.

والقرار - الموقف، على كل حال، رسمي ودولي، ومثله تمحوه المتغيرات. لكن مواقف الأمم والشعوب لا تنقضها الظروف والمتغيرات،

فحكمها هو الأقوى والأرسخ والأقدم، هو فوق الألفاظ السياسية الرسمية، والشكلية في معظم الأحيان، كما في أحوال التعامل مع الفريسية السادية المعاصرة.

والأمم والشعوب تقوِّم الفريسية منذ عشرات القرون بأنها أنموذج الشر المتفرد في العالم، كجماعات فاسدة منغلقة أولا، وكنظام مؤخرا، وتتمثل أهمية هذا الحكم بما يحمله من مضامين سلبية: أخلاقية - طَبْعية - روحية - سلوكية، يَصِم بها تربية اليهود وتراثهم، ورواسبهم العدوانية، وهو حكم راسخ، ومن هنا رأيناه الأقوى.

كان قرار الأمم المتحدة بعنصرية إسرائيل وقفة على (خبر) الفريسية لا على (مبتدئها). أعني أنها أخذت رواسب إسرائيل العدوانية من النتائج الحاضرة المشاهدة الموصوفة، لا من مقدماتها، لأن تلك المقدمات مشهورة منشورة في الكتاب المقدس على نطاق العالم. والطريقة هذه هي منهج العالم الغربي باريتو. ونحن نستخدمها في طريقة البحث العلمية معززينها بإسقاط المقولات الفرويدية، ومن هذه التعزيز أيضا استخدام مصطلح الرواسب العدوانية. أو غريزة العدوان (Agressivité) وهو من إنشاء فرويد أيضاً.

ومع ذلك فنحن لا نترك الرواسب الفريسية بدون تحليل واستدلال:

فمتى وكيف بدأت عنصرية «بني إسرائيل» (نعترض على التسمية، فإسرائيل عليه السلام بريء منهم).

- الواقع أنه ما تولدت في اليهود خَصْلة فاسدة، أو قيمة سلبية (بالتعبير العلمي) مما ذكرناه حتى الآن، ومما سوف نذكره، من رواسب نفسية - تربوية - دينية، وقواعد تطبيقية جارية في سلوكهم، إلا صدوراً من أباطيل الأحبار التوراتية، ومنها، - بخصوص راسب الاختيار والعنصرية الذي نحن بصدده - أنهم «بنوا لله - أبناءُ الله - أجنادُ وجند الرب - شعبَه الخاص، أو شعبه الأخصُّ من جميع الشعوب».

وهذه الصفات والألقاب الموضوعة زوراً وبهتاناً على لسان (رب) لا وجود له، هي - بالتحليل والاستدلال - المقدمات الراسبة العدوانية المسؤولة عن تشويه التربية اليهودية، والحؤولِ دون أن تكون المجتمعات اليهودية كغيرها من بني البشر. ونحن ما نرى في استمرار التربية الفريسية على هذا النهج العدواني إلا استمراراً في ظلمها الأجيال اليهودية. وهم يعرفون أن راكب الأسد يخيف الناس لكنه أشد الناس خوفاً. (مثل صيني - وهو من علم النفس لا من السياسة - فخلفيته نفسية).

وقد بدؤوا بالأبطولة الأولى من هذا الراسب «أنهم بنو الله»، حيث وضعوها في السفر الأول من توراتهم، سفر التكوين، بل وفي الإصحاح السادس منه، لأن الإصحاحات الخمسة الأولى مكرسة لوصف خلق الكون قبل خلق آدم. وبسبب التسلسل الزمني كان لا بد من أن تتأخر هذه الأبطولة، وهي، على كل حال، لم تتأخر إلا قليلاً، قياساً إلى مساحة السفر المؤلف من خمسين إصحاحاً.

إذن، فهم قد بكَّروا وباكروا أجيالهم بنفخ ريح العنصرية في نفوسهم، من حيث أنهم أبناء الله، وأنهم بالتالي شعبه المختار المتفوق على جميع شعوب الأرض، وأن سكان الأرض جميعا يجب أن يكونوا «عبيدا وخدما لبني إسرائيل». ثم راحوا، بعد هذه الأبطولة التخريفية العنصرية الأولى، يبذرون الألقاب الباذخة في رقاع التوراة العقيمة والنفوس الكتيمة، حتى ما يفلت منها على مدار الزمان والمكان جَليس أو كَنيس.

أجل في هذا المرتع حُمضت رواسب اليهود، وتقبَّضت أنساغ وسَحْناءُ بني إسرائيل، ومن حَمئِها تولَّدت تربياتهم الدينية والبيداغوجية والاجتماعية العنصرية. ومن تلك العبارات المتكررة التي صدَّروا بها توراتهم أزْمَنت رواسبهم، وتورَّعت عُقَدهم النفسية، حتى تحولت إلى تآليلَ تنفر منها الشعوب، ودماميلَ يفور منها صديد الحقد على كل البشر، فلم يقتصر الكهنة على ادعاء

تميز اليهود وفوقيتهم وعنصريتهم، بكل بكروا - بالخط الموازي - في ادعاء الدونية والنسب المغشوش لجميع البشر، الأمر الذي جعلهم منبوذين مكروهين في كل ديار ابتليت بهم، ثم أضافوا إلى رواسبهم العنصرية أساليبَهم الاشتقاقية الوضيعة في تحقيق أطماعهم، فتفشَّت طباعهم. وازداد الناس في كرههم ونبذهم جميع اليهودَ مما أدى إلى انقلاقهم على بعضهم بعضا في حاراتهم العنصرية الخاصة، حتى صارت عبارة «حارة اليهود» تعريفاً بهم.

يطول بنا الحديث لو تتبعنا نصوص الكهنة في أبطولة الاختيار. وهاكم القليل المكثف:

«قل لبني إسرائيل أنا الرب إلهكم. وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين.. وأتخذكم لي شعبا وأكون لكم إلها»(٣٩).

«فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون (كتبت هكذا) لي خاصة من بين جميع الشعوب»(٤٠).

«إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض»(٤١).

نصوص لا تَفقِس غيرَ العنصرية والعنصريين، ورواسبُ تفح بالحقد فحيح الأفاعي.

ومثلما يغضب الأب على أبنائه المدللين عند المخالفة والعصيان، ويهم بمعاقبتهم، فيتدخل الوسطاء. كان يهوه يغضب ويسخط على أبنائه؛ شعبه الخاص المختار، فيتوعدهم بالويل والثبور وعظائم الأمور، ولكنْ سرعان ما يتدخل موسى طالباً منه التراجع عن غضبه ووعيده، وأن يندم على تهديده، فيصفح يهوه ويندم ويتراجع:

«فقال الرب لموسى اذهب انزل. لأنه قد فسد شعبك.. فالآن اتركني

ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم.. فتضرع موسى أمام الرب إلهه. وقال لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك.. ارجِعْ عن حُموِّ غضبك واندم على الشر بشعبك.. فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه»(٤٢).

وقد عرضوا هذه الرواية على شكل حوار بين (موسى ويهوه)، فرقَّ قلب يهوه على أبنائه، وأقنعه موسى بالتراجع والندم، ومثل هذا النص مكرور في التوراة بعدد حالات العصيان. فهل سمعتم برب يقول ويندم ويتراجع غير يهوه (رب) الفريسيين؟ وهل سمعتم بهوى جارف، أو محبة ساخنة كالحمى متبادلة بين «رب خاص لشعب أخص»؟ وقبل ذلك، هل سمعتم بمثل هذين (الرب والشعب) في أي كتاب وأية تربية غير الرواسب الفريسية؟

من ههنا حكم المستنيرون من شعوب العالم، وبعضهم فلاسفة وباحثون وسياسيون يهود، بأن معظم أسفار التوراة إنما هي من وضع الكهنة.

وسوف نقف على فكرة الوضع هذه ونوثقها في مكان آخر من البحث.

فمن الواضح أن وضع الدم والتراجع على لسان (يهوه) هو الذي كان ولا يزال يفتح لهم الطريق اللَّاحبَةَ للفواحش والجرائم بحق البشر ويشوه طباعهم ويبعدهم عن فطرة الاجتماع السليمة.

الوظيفة الثالثة - التربية النصرانية في شِباك الفِرِّيسية

ها نحن نحكم - ومن العنوان - بأن الفريسية بأوجهها المزمنة (الصهيونية والماسونية وتفرعاتهما)، هي التي اخترقت النصرانية، وليس العكس. ويقوم استدلالنا على البرهان التاريخي أو الزمني. فالرواسب الفريسية تسبق النصرانية بقرون تتراوح بين عشرة وخمسةَ عشرَ قرنا، فمعاقبة الغرب لليهود على رواسبهم واشتقاقاتها السلوكية كانت نتائج، ولم تكن مقدمات، فالغرب لم يؤسس، وإنما عاقب.

على مدار ما تحدثنا ونتحدث به عن العلاقة بين الفريسية والنصرانية فنحن

لا نبتغي الإساءة إلى الأخيرة، بل ولا نبتغي الإساءة إلى أي مذهب، حتى وإن كانت دينيته مزعومة موهومة ملغومة (عنصرية)، فتربيتنا الإسلامية تعصمنا من الإساءة إلى لفظة (الدين) بالمطلق. فضلاً عن أننا لا نبحث في فقه ديني، بل في رواسب نفسية تربوية اجتماعية زُعم لها أساس ديني، فإذا انكشف الوضع والتزوير على (لسان العرب) وعلى ألسنة الأنبياء والرسل فإن الإساءة لا تكون صادرة إلا عن الوَضَّاعين المزورين. وقد تستنتج بعد ذلك أننا ندافع عن النصرانية الحقة والموسوية السماوية.

ابتداء أذكر النصارى بأن اليهود، كل اليهود، لا يعتبرون مقدسا من «الكتاب المقدس» إلا توراتهم، وهم يطعنون بالنصرانية جملة وتفصيلا، بل ويطعنون بنبوة عيسى، فما بالكم (بربوبيته)؟ وهم يطعنون بأصله وبأمور أخرى يعرفها النصارى جيدا. بينما يعترف النصارى (بقداسة) التوراة، فكيف تستوي لديهم هذه العلاقة الذيلية أو الدونية؟

الواقع أن اليهود والنصارى واقعون منذ عشرين قرنا بتخبط وتناقض واسعين، إن بين العقيدتين، وإن بين فرق العقيدة الواحدة.

«فالنصارى لديهم العهد القديم والعهد الجديد، وهم يختلفون فيما بينهم اختلافا شديدا في الاعتراف بمختلف أسفار العهد القديم، ولهم أناجيل عديدة بلغت المئات، ثم اعترفوا بأربعة منها في مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥، وأنكروا على الفرق الأخرى أناجيلها، ومن تلك الأناجيل المرفوضة إنجيل برنابا، الذي ذكر فيه أن عيسى عليه السلام عبدالله ورسوله، وأنه لم يصلب، ولكن شبّه لهم، وفيه إشارات واضحة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، لا لبس فيها ولا غموض»(٤٣).

«ولليهود كتابان يعترفون بهما، هما التوراة والتلمود، والتوراة هي الشريعة المكتوبة، والتلمود هو الشريعة الشفوية، التي زعموا أن موسى كان يقولها، وتناقلتها الأجيال»(٤٤). فخمِّن إن استطعت مقدار الخلط والوضع

والتزوير، الذي دبَّجه الأفاقون الآبقون من أبناء وأحفاد فُضالات الشعوب على لسان موسى، وخُمِّن عددهم إن استطعت على مدى خمسة عشر قرنا قبل الميلاد، وتحسن صنعاً إذا أضفت إليها ثمانية عشر قرنا من الوضع والتشويه وسب البشرية وتسفيهها وصولاً إلى «بروتوكولات حكماء صهيون».

فهل هذا كتاب ديني؟ ونحن لا يهمنا من ذلك غير التربية الشوهاء – موضوع البحث – التي أفسدت بارتكاسات رواسبها الاجتماعَ الإنساني.

لقد أفسدت قسطاً واسعاً من البشر، إذا احتسبت النصارى الآخذين بأسفار التربية السادية، فإذا استثنيت المستنيرين في المجتمعات النصرانية يظل الآخذون بالفريسية نمطين، هما:

– نمط بسيط متواضع الثقافة والملكات، يؤمن على طريقة ﴿. . .**وجدنا آباءنا كذلك يفعلون**﴾ (الشعراء: ٧٤) ولا مطمع لهؤلاء بمنصب (زمني) أو موقع لاهوتي، باتت الفريسية تتيحهما (للمخلصين) من الأتباع، بعدما كان بينهما من الحقد والعدوان.

– نمط هو في الغالب من المشتغلين بشؤون الدين. ولما كان هؤلاء أكثر النصارى دراية بمخبوءات وألغام العهد القديم والتلمود والتربية الفريسية وانعكاساتها على الاجتماع الإنساني، بل على المجتمعات النصرانية خاصة، فإن أخْذَهم بالرواسب الفريسية لا بد من أن يكون مطعَّماً بأغراض غير دينية هي مما يهيئه الفريسيون لأتباعهم. لقد ظلت المؤسسات النصرانية إلى عهد قريب تقول إن أسفار الشريعة الخمسة هي من كتابة موسى، وأن سفر يوشع هو من كتابة يوشع، إلى أن أبطلت الدراسات التاريخية والآثارية الحديثة ذلك التلفيق، وبرأت منه موسى ويوشع، وقد جاء التأكيد القاطع على الوضع والتلفيق في مؤلفات ودراسات كثير من الباحثين والمؤسسات الدينية. وكان ذلك على الخصوص في دراسة موسعة أجرتها «لجنة الكتاب المقدس الفرنسية، ونقلتها إلى العربية الرهبانية اليسوعية ببيروت»(٤٥).

وقد توسع الدكتور محمد علي البار في حديث تلك الدراسة بكتابه «المدخل لدراسة التوراة» ومنه نأخذ:

«لم يكن هناك حدود للكتابات المعترف بها لدى حاخامات اليهود باعتبارها وحياً من الله، لأن الإضافات كانت مستمرة والقائمة مفتوحة»(٤٦).

والنص التالي ينقله بحرفه عن اللجنة المذكورة:

«ما هو الكتاب المقدس؟ إنه مكتبة بل مجموعة كتب مختلفة جدا.. ذلك أنها تمتد على أكثر من عشرة قرون، وتنسب إلى عشرات المؤلفين المختلفين، بعضها وضع بالعبرية مع بعض المقاطع بالآرامية، وبعضها الآخر باليونانية، وهي تنتمي إلى أشد الفنون الأدبية اختلافاً كالرواية التاريخية ومجموعة القوانين والصلاة والقصيدة الشعرية والرسالة والقصة»(٤٧).

نكتفي بهذين النصين، لنأخذ الرأي القاطع في نسف الصفة المقدسة المزعومة لتوراة الكهنة، إنه هنا روجيه غارودي، حيث يقول:

«وما من تفسير رصين للتوراة إلا ويسلم بأن أقدم نصوصها قد ألف وكتب في عهد سليمان (بعد موسى بأربعة قرون) وهذه النصوص ليست إلا تجميعا لروايات شفهية، وإذا التزمنا بمعايير الموضوعية التاريخية، كان علينا الإقرار بأن هذه الروايات ليست أكثر تاريخية من إلياذة اليونان وراميانا الهند»(٤٨).

حذَرَ الإطالة، وحذر أن يُنظر إلى البحث على أنه ديني، فيما نحن نتعقَّب رواسب عنصرية من خلال كتاب (ديني)، نكتفي بهذا القدر من رد الصفة القدسية عن توراة الأحبار، وقد أغفلنا - للسببين الآنفين - كثيراً من النصوص لباحثين من اليهود والنصارى تعزِّز ذلك الرد وتزيد عليه.

ونحن لا غاية لنا من ذلك إلا أن نكشف للنصارى الآخذين بالتوراة التي بين أيديهم، أنهم واقعون في شباك الفريسيين، وأن الغرب في عدوانه على

العرب والمسلمين، وفي نصرته الصهيونية المعاصرة إنما ينجرُّ إلى عنصرية الفريسيين من خلال كتاب غير ديني، وغير سماوي. وبالتالي غيرِ مقدس، فلولا هذه العنصرية والرواسب والتورمات اليهودية الأخرى، لما انشغلنا بأن يكون كتاب الكهنة مقدساً أو غير مقدس.

والمسلمون لا يحتاجون إلى أدلة، فكتاب الله تعالى قطع الرأي بالوضع والتحريف في كتاب الأحبار، وإذ نذكر ببعض المواضع، فمن أجل النصارى أيضا، فهذا القرآن الكريم ينص على ما توصلت إليه رهبانيات النصارى بعد قرون:

قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿مَثَلُ الذين حمّلوا التوراةَ ثم لم يحمِلوها كمثَل الحمار يحمل أسفاراً بئس مَثَلُ القوم الذين كذَّبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (الجمعة: ٥).

﴿يحرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه﴾ (المائدة: ١٣).

﴿ومن الذين هادُوا سمَّاعون للكذب.. يحرِّفون الكَلِمَ من بعدِ مواضعه﴾ (المائدة: ٤١).

﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناس تجعلونه قراطيسَ تُبدونها وتُخفون كثيرا﴾ (الأنعام: ٩١).

الآيات الكريمة السابقة أنزلت بحق اليهود بالنص والدلالة.

﴿فويل للذين يكتُبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله﴾ (البقرة: ٧٩).

«أخرج النسائي عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت في أحبار اليهود»[٤٩].

ولا فكاك للمستنيرين من الملل الأخرى من النزول عند هذا الحكم. (لاحِظْ: الأولى عامة، والتاليتان في التحريف، والرابعة في الوضع مطلقاً).

- من المعروف أن الأناجيل نقية من روح العنصرية والتعصب، وقد وجدت ظلالها في الحادثة التالية: «ثم خرج يسوع.. وانصرف إلى نواحي صور وصيداء. وإذا امرأة كنعانية.. صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيِّدُ.. ابنتي مجنونة جدا. فلم يجبها بكلمة. فتقدم تلاميذه.. قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا. فأجاب يسوع وقال لم أُرْسل إلا إلى خِراف بيت إسرائيل الضالة. فأتت وسجدت له قائلة يا سيد أَعِنِّي. فأجاب ليس حسنا أن يُؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب. فقالت نعم يا سيد. والكلاب أيضاً تأكل من الفُتات.. حينئذ أجاب يسوع ياامرأة عظيمٌ إيمانك. ليكنْ لك كما تريدين. فشفيت ابنتها من تلك الساعة»[٥٠] وهم بذلك يجعلون حجة المرأة أقوى من حجة (الرب) حسب معتقدهم. إنها عنصرية بألفاظ بذيئة، ومعاذ الله أن يفعلها عيسى عليه السلام أو ينطق بها. وما واضعها إلا فِرِّيسيٌّ خرقته الصهيونية في زمان ما وسكبت في روحه صَديدَ العنصرية.

الوظيفة الرابعة - الكنيسة والكنيس معسكر واحد

نعني بالكنيسة هنا المؤسسات اللاهوتية المسحوبة بمختلف الوسائل إلى خندق الصهيونية ضد العرب والمسلمين، ومن الطبيعي أن تكون المؤسسات السياسية والعسكرية في معظم الغرب واجهة أمامية للكنيسة، بعد أن تربت هذه وتلك على كره العرب والمسلمين. وإذا كان في لغتنا، بهذه الوظيفة، تساؤل واستغراب وذهول من انقلاب الغرب إلى فريسية معاصرة، فما هي إلا طريقة في الكتابة، نقصد منها تذكير النصارى وقَرْعَ عقولهم وضمائرهم، إنه أسلوب نراه الأنجع لمثل هذه الحال، وقد مررنا من قبل وفي أكثر من موضع على الجهود المزمنة التي بذلتها الفريسيات المختلفة لاصطياد النصرانية، فما حققه اليهود بعد

الحرب العالمية الثانية كان (ثماراً) لجهود مضنية وعناء طويل لا نحتاج إلى الإطالة في هذه الوظيفة. فالعالم كله يتابع ساعة بساعة ما يدور في المعمورة من أحداث وتغيرات مذهلة.

أريد الوقوف عند واحدة من التغيرات لعلاقتها المباشرة بالبحث، وأهم من ذلك لانعكاساتها السلبية على العرب والمسلمين. إنها الانقلاب المذهل في مواقف الغرب النصراني من الفريسية اليهودية المعاصرة.

فبعد عشرين قرنا من الكوارث والأهوال المتبادلة بين اليهود والنصارى ينقلب الجميع صفاً واحداً، معسكراً واحداً، جبهة فريسية واحدة، ضد العرب والمسلمين (حرق اليهود أطفال بيت لحم).

أكتفي بالإشارة إلى (الأرشيف الأسباني) في قتل وحرق وإبادة وتشريد اليهود (تفصيله في «قصة الحضارة» الجزء ٢٣ - ما بين ٦٤-٦٨ ويل ديورانت).

- فما الذي أصاب الغرب النصراني حتى ينجرَّ خلف الفريسية المعاصرة؟

ليس في كتابهم ما يشجع على التربية الفريسية، ليس فيه رواسب واشتقاقات تنظيرية كالوحشية والسادية والفواحش والخلق المريض والطبع السقيم. والحادثة العنصرية التي وثقناها مدسوسة على عيسى عليه السلام، ونستدل على ذلك بأخلاق الأنبياء والرسل بعامة، فهم مختارون من لدن الله تعالى، ومن يختارهم الله ويصطفيهم لتبليغ البشر رسالة السماء لا يسمون البشر كلاباً. هذا استدلال قاطع، وإن شاء النصارى استدلالاً قاطعاً آخر قوامه المقارنة والمقاربة في أفكار النصوص، وكشفُ الروح العام الذي يَنْظِمها، قلنا لهم إن هذه الحادثة تشذُّ عن روح كتابكم.

إن في كتاب النصارى محبة ورحمة وتسامحا، وفي ذلك يقول تعالى:

﴿لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهودَ والذين أشركوا ولتجدنَّ أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾ (المائدة: ٨٢).

فمن أين جاءت الوحدة الفريسية والعقيدتان متنافرتان؟ من جهود الصهيونية والتجليدة الواحدة (الكتاب المقدس).

قيد المقارنة - نصوص في الطفولة

التوراة مشحونة بالرواسب والعُقد، والأناجيل خَليِّة منها، وهذا تنافر فاضح بين العقيدتين، تماما كما يُدار ظهرٌ إلى ظهر، مما يستدعي - ولم يستدع في آخر المطاف - أن تكون التربيتان متنافرتين، ونختار هنا نصوصا عن الطفولة تحديدا لكشف التنافر النظري:

«الحقَّ أقول لكم. إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات.. ومن أعْثَرَ على هؤلاء الصغار فخير له أن يُعلَّق في رقبته حجر الرَّحى»(٥١).

«وقدموا إليه أولادا لكي يلمسهم. وأما التلاميذ فانتهروا الذين قدموهم. فلما رأى يسوع ذلك اغتاظ وقال لهم دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم. لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله.. فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم»(٥٢).

هذه حقاً أخلاق الأنبياء والرسل. وإليكم النقيض المفجع من توراة الكهنة:

«فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال». وقد لفِّقت على لسان موسى (موثقة من قبل).

«وحرَّمنا (قتلنا) من كل مدينة الرجالَ والنساء والأطفال» (كالسابقة وضعا وتوثيقا)، ولكنْ تأملوا الراسب الوحشي التالي: وكلها وحشية.

«بل اقتلْ رجلاً وامرأة. طفلاً ورضيعا»[٥٣].

إذا بدت الشواهد الثلاثة بثوب الجمل والعبارات، فأرجو أخذ العلم بأنها مسحوبة من نصوص طويلة، ومن إصحاحات مختلفة، وقد عزلناها لتعلقها بالطفولة، موضوع الفقرة التي نحن فيها، وهو أمر تقتضيه المنهجية العلمية.

إن أياً من تلك الشواهد إنما هو تكثيف لسجل حافل بالرواسب اليهودية المتورمة، وقد أفرغوا صديدها في شعوب المنطقة العربية انتهاء بالطفولة.

فيا لفداحة الهمجية والوحشية. قتلوا حتى أطفال الرضاعة، فماذا تركوا للوحوش؟ بل قد سمعنا وقرأنا أن الوحوش ترأف بهم، وتمنعهم، و(تربيهم).

وسواء أكان هذا من الملاحم والأساطير أم لا، فهو يُفيد تعلق الإنسان بالرأفة والرحمة.

والعبارة الأخيرة التي أوردناها لأطفال الرضاعة مسحوبة من إصحاح كامل في الموضع المذكور، وكانت خاتمته أن جاؤوا بملك عماليق. بعد أن أبادوا شعبه، «فقطعه النبي صموئيل أمام الرب»، إنها - وحدها - التمثيل بلغة الدين، والسادية بلغة علم النفس والاجتماع، وراسب الحقد العنصري بلغة باريتو. وغريزة العدوان والإتلاف بلغة فرويد، وتلكم هي لغة العلم ومصطلحاته. وعليه، فنصوص الطفولة جميعاً - ومثلها كثير - مستخرجة من دين اليهود، من الكتاب الديني لليهود «لا من وثائق تاريخية» وهو الذي يغرفون منه تربياتهم الدينية والاجتماعية والبيداغوجية والعسكرية. وتلكم هي اشتقاقاتها ونتائجها تظهر رأد الضحى من كل يوم في أطفال المسلمين.

ولربط النظر بالعمل، هاكم المثال الأحدث أو الأسخن: فلقد مزقت القنابل التوراتية طفلة لها من العمر أربعة أيام، وقطعت رأس أخرى، شاهدها العالم بالبصيرة والبصر والضمير، ولا ندري إذا كانت الأولى قد تعلمت

الرضاعة في أربعة أيام، لم تكن تلك عناقيد غضب، بل كانت عناقيد الحقد التوراتي الكهنوتي، وتورمات الرواسب الفريسية المزمنة منقولةً عبر القرون إلى التربية العسكرية بصديدها الديني والبيداغوجي.

«ادخلوا في السلم كافة»

آيات قرآنية كريمة، ونصوص نصرانية وفريسية، نقدمها قيدَ المقارنة بشأن السلام، أو من أجل المنهجية العلمية، منوهين مرة أخرى بأننا لا نبحث في فقه ديني، ولا في منهج سياسي، وإنما نتعقب الخير والشر، السلام والعدوان، صدوراً من الكتب الدينية باعتبارها المعامِلَ الأُسَّ لجميع ميادين التربية.

قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السِّلم كافة**﴾ (البقرة: ٢٠٨).

﴿**وإن جنحوا للسَّلم فاجنح لها**﴾ (الأنفال: ٦١).

﴿**يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب.. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانهَ سبل السلام**﴾ (المائدة: ١٥-١٦).

ومن أجل السلم هاكم بعض ما قاله عيسى عليه السلام:

«لكني أقول لكم أيها السامعون أحبوا أعداءكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. باركوا لاعنيكم. وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم. من ضربك على خدك فأعرض له الآخر أيضا. ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك. وكلُّ من سألك فأعطه. ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه»(٥٤).

«طوبى للودعاء. لأنهم يرثون الأرض. طوبى للرحماء لأنهم يرحمون. طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله. طوبى لصانعي السلام»(٥٥).

أما نصوص الشر والعدوان في توراة الأحبار المنحولة إلى عناقيد حقد وعنصرية، المترجمةُ حديثاً ومعاصرةً إلى «عناقيد غضب» بطريق التربية الدينية أصلا، والعسكرية والمناهجية البيداغوجية فرعا، فماذا يمكن أن نقول فيها وننقل منها بعد ما قلناه وما نقلناه؟ فإذا استثنيت الأسفار والنصوص الإيجابية التي ذكرناها لا يبقى في توراة الأحبار إلا سيل طافح من الشر والعدوان والرواسب والاشتقاقات العُقدية التي يستحيل على من عشعشت فيهم أن يكونوا بشراً أسوياء.

نكتفي من ذلك السيل الطافح بشواهد موجزة، أخْذاً من نصوص مطولة (وقد عرضنا مطولات):

«مبارَكا تكون فوق جميع الشعوب.. وتأكل كل الشعوب.. لا تشفق عيناك عليهم»(٥٦).

«فالآن اذهب واضرب عماليق.. ولا تَعْفُ عنهم بل اقتل رجلا وامرأة. طفلا ورضيعا..»(٥٧) (عدنا إليها من أجل «لا تَعْفُ» لتعلقها بهذه الفقرة).

«وأما مدن هؤلاء فلا تستبق منها نَسَمةً ما»(٥٨).

فقارن بين التربيات الثلاث، وبعد ذلك قاطع بين هذه النصوص الفريسية الثلاثة والوصية الموسوية «لا تقتل»، واكتشف «الواجبات الدينية الأخلاقية» عندهم. وقد دعوتكم من قبل إلى أن تقاطعوا بين الوصية «لا تزن» والأمر بزواج الزانيات من أجل أن تكتشفوا الواجبات إياها، جميعها، من التوراة لا من «وثائق..».

هو دين حوَّله الكهنة إلى سياسة، أو إلى إرهاب سياسي عسكري (عنقودي) صدورا أو مرورا بجميع (أصناف) التربية. وتأسيساً على عناقيد الحنظل والدِّفْلى في رواسبهم النفيسة.

«أيها الفريسيون يا أولاد الأفاعي»

إذا كان النصارى نسوا ما قاله السيد المسيح بالفريسيين، فلنذكرهم ببعضه:

«ويل لكم أيها الكتبة والفِرِّيسيُّون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس.. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسِبوا دخيلًا واحداً. ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم»(٥٩).

«أيها القادة العميان الذين يُصَفُّوون عن البعوضة ويبلعون الجمل. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تُنَقُّون خارج الكأس والصَّحْفة وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة.. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبوراً مبيَّضة.. وهي من داخل مملوءة عظامَ أموات وكلَّ نجاسة»(٦٠).

«ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء.. وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء. فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء.. فاملأوا (فاملؤوا) أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم.. تقتُلون وتصلِبون.. لكي يأتي عليكم كلُّ دمٍ زكي سُفِكَ على الأرض من دم هابيل الصِّديق إلى دم زكريا بن بَرَخِيَّا»(٦١).

«يا أورشليمُ يا أورشليم يا قاتلةَ الأنبياء وراجمةَ المرسَلين»(٦٢).

هذا كله من سفر واحد، بل من إصحاح واحد، من أناجيل النصارى، وإذا أرادوا زيادة فعليهم بكتابهم. فهل ترك المسيح عقدة متورمة، أو راسبا فاسدا، أو حبة متعفنة من عناقيد الشر والعدوان، لم يعلقها في رقاب الفريسيين؟

ولولا أن يُحسَب البحث دينيا، ولأن الفقرة من متعلقات كتاب النصارى، لتعقَّبت الرواسب الفريسية من القرآن الكريم. وعلى كل حال فإن التطابق بين الإسلام والنصرانية النظرية في إدانة اليهود يعرفه جميع المستنيرين.

دعونا نجمع من النصوص السابقة ثبت الرواسب الفريسية، أو أهمها:

الرياء (مكرراً ومقروناً بالوعيد) - تضليل الشعوب عن عبادة الله (تغلقون ملكوت السموات) - اصطياد الناس وقودا لجهنم - أكل الحرام (ابتلاع الجمل) - اغتصاب أموال الناس (الاختطاف) - أكل بيوت الأرامل (مدلولها واسع) طبع الحيات - أولاد الأفاعي - الدعارة - النجاسة - قتل الأنبياء - رجم الرسل.

فما الذي بقي للفريسيين والكتبة من خصائص الإنسان؟

أجل، ومن لسان السيد المسيح، تلك هي الكبائر والآثام التي تربَّى عليها اليهود، فعشعشت وتجذَّرت في الخلفية النفسية العامة لأجيالهم المتعاقبة رواسبَ شر معنِّدةً لا يمحوها الزمان، بل يزيدها عمقاً وعناداً وتوسعاً وامتداداً.

أين توراة الكهنة من كتاب النصارى؟! هل توقفوا عن قراءة الأناجيل؟ ونحن نكتفي بها لجهة السلام والأخلاق والقواعد السلوكية والتربوية في التعامل بين البشر، ولا يشغلنا هنا غيرها.

هل تخلوا عن أخلاق (يسوع) ليلحقوا بركب الأحبار، ويتشبعوا برواسبهم وعقدهم؟ هل في توراة الكهنة غير الذبح والحرق والإبادة، والفواحش والزنى بالمحرمات والمكر والغدر والخيانة والعنصرية والحقد واغتصاب ديار الآخرين؟

هل تعلِّم توراة الكهنة غير الشر والعدوان، أو تربي على غير هذه العقد والرواسب؟ ما الذي حل بالغرب النصراني؟ هل غير الفريسيون (ديانتهم)، فصاروا يعبدون إلهاً لكل البشر (لا إلهاً خاصاً لشعب أخص)؟ أم أن النصارى

هم الذين تركوا نبي الرحمة والسلام، وسحبتهم الصهيونية المزمنة من أقحافهم وذقونهم إلى معسكر يهوه؟ هل غيّر اليهود بطانتهم النفسية، رواسبَهم وعُقدهم النفسية؟ إنَّ سلخ جلودهم لأسهل من سلخهم منها أو سلخها منهم. وبشكل آخر: هل محا اليهود من خلفيتهم النفسية العامة رواسبهم النظرية والسلوكية الذميمة المدانة إنسانياً حتى ينجر النصارى إلى أخلاقهم وطباعهم؟

هل صار عيسى عندهم نبياً؟ لقد قالوا عنه في التلمود إنه في النار، وقالوا عن أمه الطاهرة النقية كذا وألف كذا.

ماذا حمل بالكنائس الغربية والشرقية بعد ما كانت تحمله لليهود من ضغينة؟ أَمِن أجل العداء للعروبة والإسلام ينجرون وراء الفريسية الصهيونية المعاصرة؟ ما زال اليهود يكفِّرون النصارى. ويكفرون عيسى، ويتهمون أمه.

هل تنازل النصارى عن (دم) عيسى، بعد أن زعموه عشرين قرناً وأقاموا عليه عقيدتهم؟ إن هذا لم يكن بعصا سحرية، ولا وليدَ الكوارث والأهوال، ولا وليد التعاطف، بل لعل العكس في هذه المسألة هو الصحيح، فمن أسباب زرعهم في ديار العرب التخلُّصُ منهم ومن مفاسدهم وشرورهم، الصحيح أن هذا التحول إلى معسكر الصهيونية كان نتيجة لتاريخ طويل من (الكفاح) الدؤوب المعزَّز بمختلف أساليب الغزو ووسائل الترهيب والترغيب. وكانت نتائجه الظاهرة قد بدت للعرب في «مؤتمر لندن للفعاليات الأوروبية سنة ١٩٠٥». وما كان ذلك المؤتمر إلا من نتائج مؤتمر بال سنة ١٨٩٧. وما كان وعد بلفور إلا من نتائج مؤتمر لندن المذكور (انتبه إلى التواريخ المتقاربة) وكان مؤتمر لندن قد قرر إنشاء كيان معاد لشعوب المنطقة العربية.

نعم هذا سياسة بثوبه العام، أو تاريخ إن شئت، لكنه منسوج من خيوط الرواسب الصهيونية بمنوال التربية الفريسية والخرق الصهيوني للنصرانية.

راقبوا ما تفعله الفريسية النصرانية في البوسنة والهرسك والشيشان وأذربيجان. وما يفعله المعسكر الفريسي الموحد في الديار العربية، إنها الصورة

الأخيرة المعاصرة لاتحاد عناصر الشر والعدوان في أنموذج واحد، معسكرٍ واحد، ينوِّع توجهاته واهتماماته، ويمد أذرعه إلى حيث يريد، ولما كان كتاب النصارى يحارب الشر والعدوان، ويدعو إلى المحبة والسلام. فقد بات عند أصحابه كتابا هامشيا، يعودون إليه في مراسم الأعياد والزواج والقرابين وحسب، حتى إذا احتاجوا تبريراً (دينياً) لأية جريمة يرتكبونها برقاب المسلمين وديارهم. مدوا أيديهم إلى القدور التوراتية الصدئة فخرَّجوه راسباً (دينياً - ربانياً - موسوياً).

الوظيفة الخامسة - الرواسب الفريسية في (البيداغوجيا) المعاصرة

(قال الرب لموسى) «متى قرض الرب أمامك الأممَ الذين قال... يعطيك أرضهم وورِثتهم وسكنت مدنهم وبيوتهم. تفرزُ لنفسك ثلاث مدن.. تصلح الطريق وتثلِّث تخوم أرضك فتكونُ لكي يهرب إليها كل قاتل.. وإنْ وسَّع الرب تخومك.. فزد لنفسك ثلاث مدن»(٦٣).

مفزع مرعب هذا (الرب) المزعوم. سَفَّاحٌ والِغٌ في دماء العرب. ومعاذ ربي أن يكون موجوداً في غير صدور اليهود. إنه الحقد يعتمل في أجيالهم، تعتّقه القرون المديدة سُمًّا زُعافاً كُثافاً وصولاً إلى هذا الزمان، ولن تزيده الأيام إلا ضِراما.

إذن، هو القرض والقضم، قرض العرب وقضم ديارهم ممتدَّين إلى أيامنا هذه.

يخطىء من يظن أن رواسب هذا النص قد عفت وزالت بالتقادم أو بالتطور الثقافي، وكيف ذلك والتربية الفريسية ترسخها في نفوس الأجيال اليهودية مع حليب الرضاع والحروف الهجائية في المدارس الصهيونية؟

البرهنة العلمية على انتقال الرواسب إلى التربية الصهيونية المعاصرة

كتب روجيه غارودي آخذاً عن المركز البروتستنتي في الغرب (طبعة هارتمان - باريس ١٩٧٧ - ص٨٤ - ٨٦) ما يلي:

«أجرى العالم النفسي تاماران (Tamarin) في جامعة تل أبيب المقياس الآتي: Test وزع على أكثر من ألف طالب خبر القتل الجماعي الذي اقترفه يشوع في أريحا (والعياذ بالله) وفيه: «وحرَّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف» فطرح الأستاذ السؤال الآتي طالباً الإجابة بنعم أو لا: «لنفرض أن الجيش الإسرائيلي احتل قرية عربية. فهل عليه أن يُنزل بسكانها نفس المصير (المصير نفسه) الذي أنزله يشوع بسكان أريحا؟». كانت الأجوبة نعم تتراوح بين ٦٦٪ و٩٥٪ تبعاً للمدرسة أو المزرعة أو المدينة، وأدى نشر نتائج التحقيق الكاشف عن الوجه الحقيقي للمجتمع الإسرائيلي إلى طرد الأستاذ تاماران من الجامعة»[٦٤].

وكتب غارودي أيضاً: «لم تكفَّ المرشدية الحاخامية العسكرية (Aumonerie) أثناء غزو لبنان ١٩٨٢ عن الدعوة إلى الحرب المقدسة، وكان الموضوع الرئيس الذي طرحه حاخام برتبة نقيب: «ينبغي لنا ألا ننسى الأصول التوراتية (الرواسب) التي تسوغ هذه الحروب.. إننا بوجودنا هنا نتمم واجبنا الديني اليهودي وفقاً لما جاء في الكتاب المقدس)[٦٥]. فطلاب الجامعة استمدوا راسب السادية من المناهج والمراحل الدراسية التربوية السابقة، وهم إذ يدخلون ميادين العمل سينقلونه إلى غيرهم، والأمر ذاته في العسكر. «فالواجب الديني اليهودي» عند المرشدية العسكرية هو اغتصاب الأراضي العربية في الشفق الأخير من القرن العشرين، وفي ثلثه الأخير يقول الحاخام يوخاي (Yochai) «اقتلوا أحسن إنسان من غير اليهود Goyim»[٦٦].

ثم هل جفت دماء المسلمين في الحرم الإبراهيمي؟ ومن قتلهم؟ الدكتور، أجل الدكتور (باروخ كولدشتاين) وقد قتلهم ساجدين متفرغين لله أعطالاً من

السلاح، وهنا تضافر راسبا السادية والغدر لم يحرره تحصيله العلمي، ولا روح العصر الحديث من حقده وسمومه، من رواسبه النفسية التوراتية المنقولة إليه من الخلفية النفسية اليهودية العامة تغذيها التربية المعاصرة.

يخطىء من يظن أن المجزرة كانت عملاً فردياً، إنها من صنع المؤسسة الفريسية المعاصرة. وها هو قبر المجرم يتحول إلى مزار يهودي. وما إذاعة نبأ المزار في وسائل الإعلام الغربية والصهيونية المختلفة إلا تعبيرٌ عن الرضا والابتهاج بجريمته الهمجية، وأسلوبٌ تربوي فريسي من أجل أن يرزقهم يهوه (بالأبطال القوميين).

أما استنكارهم النظري فما كان إلا عارضاً، من أجل تهدئة خواطر المسلمين، وتبريد دمائهم الساخنة وكم ألف دورة سخنوا دماء العرب المسلمين وأثخنوا فيها، ثم لم تلبث أن بردت.

دعنا من السياسة، وما هي بالسياسة. فلنتابع في رصد الرواسب وتعقُّبها من خلال نص القرض والقضم، قرضِ العرب وقضم ديارهم وصولاً إلى (الوطن القومي الفريسي المتحضر المعاصر) ضاع الباحثون العرب في ركام التوراة عن هذا النص الأخطر، فلم يستوقفهم، قرؤوه ولم يستقرئوه، فهلَّا تنبَّه العرب إلى مضمونه؟و وهلَّا خرَّجوه مرة وذكَّروا العالم به؟ وهلَّا راقبوهم ينفذونه الهوينى تبعاً لأحوال العرب؟ دعونا نحلله راسباً راسباً، ونسحبه إلى هذه الأيام: دققوا في تفصيلاته، وقيسوا على تقيدهم حتى بجزئياته، وهذا بعضها:

١ ـ قرض العرب حتى الانقراض، يا للفظاعة، أما وجد موسى (يعصمه الله) غير هذا اللفظ المرعب. إنه راسب السادية، راسب الإبادة الجماعية للعرب في كل قرية أو مدينة يحتلونها. وقد برهنه اختبار (تاماران) راسباً معاصراً واسع الانتشار.

وإليكم النص الصريح على الراسب وترسيخه في تربية الشبان، والنص من لسان صهيوني معاصر: يقول موشي شاريت في مذكراته سنة ١٩٥٥ ما يلي:

«كنا نعلِّم الناس في الثلاثينات اعتبار الثأر (الحقد) ناشئاً عن اندفاع سلبي (لأن أنيابهم لم تكن قد تمكنت بعد من مهجة العرب). أما اليوم فإننا نسوِّغه محاولين إظهاره كعمل منحدر من مبدأ أخلاقي (راسب نفسي)، وقد تبنى هذا المفهوم (يسمي الراسب مفهوماً) قسم كبير من السكان، وبخاصة الشبان (بسبب التربية في جميع ميادينها) واتخذ قيمة مبدأ مقدس»(٦٧).

إذن. فراسب الثأر والحقد على العرب صار «مبدأ مقدسا» في التربية الفريسية المعاصرة. لا بد من أنكم لاحظتم المرحلية حسب أحوالهم وأحوال العرب (الثلاثينات والخمسينات).

٢ ـ قضم الديار العربية مرحلة بعد مرحلة، ولو شبراً بعد شبر، وصولاً إلى غصب فلسطين، ملكوا الأرض بالشراء أولاً، ثم بالاستيلاء (الرسمي)، ثم بالاستيلاء (الشعبي)، وهو رسمي بكل تأكيد. حتى في زمن السلام هذا يغير اليهود (شعبياً) على بيوت الأسر المسلمة العزلاء الآمنة، فيشردونها، ويسكنون محلها في بيوتها. تحرد حكومتهم (على عيون الناس) ثم تنتهي الجريمة، شِرْعةُ الغاب، بقرار أممي أجوفَ، أو مجوَّفٍ نصرانياً.

٣ ـ التوسع: أيها العرب المسلمون: أليست هذه صريحة، صريحة، صريحة؟ أليست من الأمر (التوراتي الرباني الموسوي): إنْ وسَّع الرب تخومك؟ ولا تحسبنها توقعاً أو ترقباً، إنها جزء من راسب الأرض التوراتية والفردوس المفقود، دقق في النص، وقاطعه مع اشتقاقاته المعاصرة، تجدّ مرحلية القضم واضحة على قاعدة التوسع بالتدريج.

٤ ـ يوصيهم (يهوه) بإصلاح الطرق وتثليث التخوم. ياللهول! عمر هذا الكلام حسب إسناده إلى موسى، خمسة وثلاثون قرناً، وها هم ينفذونه اليوم بحرفه، بجزئياته.

لقد صار قضم الأرض، حتى في حصيرة الحكم الذاتي، سلوكاً يومياً تصعب متابعته، فإن شقوا طريقاً للمستوطنين كان ذلك من أراضي الفلاحين العرب. هذا كثير جداً، أكتفي منه بما يلي:

- ففي حزيران/ يونيو ١٩٩٥ - وبعد أن أنجزت عملية السلام معظم مهماتها، ولم يبق إلا (إشكال) حول مدينة اسمها القدس - تصادر الحكومة الفريسية ثلاثة وستين ألف فدان من أراضي الفلاحين العرب في غزة. لماذا؟ لتحسين طرق دولة إسرائيل. إنه القضم المعاصر براسب مزمن.

- وفي كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٥، وبعد أن أكمل الجيش الإسرائيلي إعادة انتشاره في بعض الضفة الغربية، تصادر الحكومة الفريسية أراضي العرب لشق طرق لأربعمائة مستوطن شَرسٍ معنِّد على البقاء في قلب مائة وعشرين ألف عربي، وما تبقيم إلا كمسمار جحا، أو كألغام يفجرونها في أي وقت يختاره الفريسيون لتحقيق أطماع تالية.

- وفي مشروع بعنوان: «مبادىء من أجل حكم ذاتي إداري للسكان العرب» قدمته عام ١٩٧٩ لجنة مكلفة، ووافقت عليه الحكومة الإسرائيلية بالإجماع، جاء النص التالي «سيزداد سلب الأراضي حدة. وفي الواقع أن (٧٢٧٠٠٠) دونم ستسيج بحجة إقامة أراض للمناورات ومعسكرات الجيش. هذا إذا استثنينا الأراضي الضرورية لإنشاء الطرق.. بالإضافة إلى طرق تحوط المدن الكبرى»[٦٨].

أليس هذا تقيداً برواسب (توراتية - ربانية - موسوية) عمرها نصف برج آدمي؟ ألا ينفذ الفريسيون المعاصرون حتى تفصيلاتها وجزئياتها الدقيقة بتحسين الطرق وتثليث المدن؟ وهل يفعل الفريسيون المعاصرون في رقاب العرب وديارهم ما يفعلونه إلا صدوراً من تربية معاصرة في جميع الميادين، جبلت بصديد الرواسب النفسية الفريسية؟

هذا، ويتم التليث والتسديس والتحسين على حساب أراضي «الحكم الإداري الذاتي»، أراضي العرب في الضفة والقطاع على (مُسَلَّمة) أن (بقية) فلسطين لم تعد عربية ولا مسْلِمة، بل صارت يهودية فريسية صهيونية.

ولا أحسب الفريسيين - في أي عهد أو مرحلة - سينسون حتى الحصيرة ولو سيَّجتها القرارات والاتفاقيات، وسواء أكان السياج فِرِّيسيًّا نصرانياً خالصاً، أو بالشراكة العامة، ومنها العربية، فإنه لن يصمد أمام راسب الأراضي التوراتية كلها، لماذا؟ لأن هذا الراسب واشتقاقاته هو دينهم وتربيتهم، أجل، ولم يتركوا في حَمامات الوصايا العشر ريشة واحدة، نتفوها جميعاً، ليكشفوا عُريَّهم النفسي والأخلاقي.

وبعد: إنه قرض معلن، موت معلن، قضم معلن، غصب معلن، توسع معلن، ومن أجله وضع الفريسيون والكتبة (مؤلفاتهم الدينية المحمية) على لسان (الرب) والأنبياء، وأرسَوا أباطيلهم في الخلفية النفسية العامة لأجيال اليهود رواسبَ وأوراما، ولن يَفْقأها العرب والمسلمون إلا بمِبضَع الاتحاد والمرابطة والجهاد، ولن يكون لهم ذلك إلا إذا عملوا بكتاب الله وسيرة نبيه الكريم وأسلافهم المقتدين.

الخاتمة

أحسَب أني تعقبت الرواسب الفريسية، وسحبتها من الغابر إلى المعاصر، خرَّجت السلب تلالاً والإيجاب سلالاً. وما كان هذا تمحُّلاً أو احتيالاً، ولكنْ على مقتضى الحال، فهذه التوراة ليست لموسى، وما رجَّحته لموسى والأنبياء باركته، وضخَّمته، كمن يفرح بدرة في كومة تبن. وأحسبني برهنت بالمنهجية العلمية التخصصية ما طرحته: وظفت باريتو رفيقاً طوال رحلتي. تجاوزته بالاستدلال. إذ هو يكتفي بالنتائج الماثلة وعرجت على فرويد، فهو مكتشف

اللاشعور، ومنشىء التحليل النفسي، ومن هذا التحليل تولد علم النفس التربوي، والإسقاطات الفرويدية ما تزال العصب النابض في كل بحث نفسي تربوي.

وإذ أترك حديث الرواسب، بعد أن توهمت استنفاذَ ما لا يَنفَذ ولا يُستنفَذ، أرجو أن تسمحوا لي بهذه الخاتمة، أكتب فيها هكذا، على السجية، واحسبوها كما تريدون، علمية أو غير علمية، لكني باق في الموضوع، أُتوِّجه وأُضفي عليه قبساً من الفيض الإلهي، والسيرة النبوية الشريفة.

قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿أفلا يتدبَّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ (النساء: ٨٢) فاليهود والنصارى مختلفون في كتبهم، متنافرون في عقيدتهم، وبالرغم من ذلك فإن الكنائس والسياسيين النصارى ينساقون وراء أباطيل الكهنة، ويساعدون الفريسيين المعاصرين في حقدهم وعدوانهم على العرب والمسلمين صدوراً من تلك الأباطيل. أما المسلمون فلا يختلفون في كتاب الله، لأنه من عند الله، أفلا يكون اتحاد اليهود والنصارى في معسكر فريسي واحد مدعاة إلى الاستغراب؟

وبالمقابل، أفلا يكون تمزق المسلمين إلى معسكرات - رغم أخذهم كتابَ الله تعالى بالعقول والقلوب والأفئدة- ومن ثم احترابُهم حتى القتل والتشريد والغصب والنهب والاجتياح والمهاترات؛ أمراً محيراً؟ بل قل معيباً؟ بل قل حراماً؟

نحن لا نتحدث عن المسلمين العرب وحسب، وإنما عن المسلمين عامة. فإذا تركنا المنطقة العربية مشرقاً ومغرباً، وصلنا إلى أفغانستان وما يدور فيها حتى هذه الساعة، ومررنا على ذلك المرتد (فكرت عبديتش)، ذلك الصغير الذي

خرج على إسلامه وقومه ليحارب إلى جانب الصرب مجرمي القرن العشرين، طامعاً بأن يجعلوا منه (مختار) قرية أو عمدة كفر، حتى وإن ظل عبداً لهم. ولستم بحاجة إلى أن أدلكم على (مختار) عربي مماثل.

وما أوقعه في الكويت الجبار العنيد الخائب مجرم التاريخ العربي سيظل سبة عليه وعلى عقبه، فمن مزق شمل العرب وأضعفهم كان رصيداً للصهيونية وظهيراً (ليهوه)، لقد سَفِه الرجل، فهو لم يحارب الفريسيين، وإنما عض الأيادي التي أحسنت إليه، ومعاذ الله أن يكون لهم أخا، أو أن يكونوا له إخوة.

لا يحتاج المسلمون إلى التذكير بالآيات الكريمة، التي تأمرهم بالمرابطة والاستعداد والجهاد وشراء الآخرة بالدنيا، فإن لم يكن سلامٌ واسترجاعٌ للحقوق والديار المغتصبة والكرامة المهدورة، كان القتالُ في سبيل الله الطريقَ الوحيد إلى الله.

إن العرب والمسلمين اليوم نهب لأقصى وأقسى أساليب القرض والقضم والتوسع والإذلال على أيدي الفريسية بنمطيها الصهيوني والنصراني.

ضاعت جمهورية إسلامية قرضاً وقضماً وتوسعاً على أيدي الفريسية الأوروبية لا الصربية وحسب، واستبدلوا بها بعض الجيوب الآمنة غيرِ الآمنة، ميسِّرين طرق الخروج منها لتخلو لهم الدار، ثم راحوا يسحقونها هي الأخرى تحت سمع المسلمين وبصرهم وبصيرتهم ووجداناتهم الأخوية النائمة، وعواطفهم الساخنة وأياديهم الباردة تشلها المصالح والعلاقات الدولية.

لقد عجزت (التربية الاشتراكية والأممية) على مدى نصف قرن عن أن تمحور رواسب التربية الفريسية من نفوس الصرب الأرثوذكس، وعجزت على مدى قرن ونصف القرن (كان اللقاء الأول بين ماركس وإنجلز سنة ١٨٤٤) عن أن تمحوها من نفوس الأرثوذكس الروس. وما أن هبت الفريسية الصربية تقرض المسلمين وتقضم ديارهم، وتهتك أعراضهم، حتى تنمرت الفريسية

الروسية تحمي همجيتهم، وتمدهم بأسباب الحياة وسلاح الجريمة، فيما راحت الفريسية العالمية تحرم المسلمين حتى من وسائل الدفاع. فانس، أوين، حتى أكاشي ابن البلد الذي أذلته الحروب، وغيرهم، لم يكونوا إلا ممثلين في مسرحية عنوان غلافها «التطهير العرقي»، وعنوانها الداخلي (التطهير الديني) أو (تطهير) ديار المسلمين من المسلمين.

فعلى العرب والمسلمين أن يقرؤوها ويستوعبوها، لأنها ثقافة هذا الزمان وتربيته الفريسية الراسبة.

شعب مسلم يسحقه البرابرة المتوحشون المدللون بإخراج فريسي نصراني أممي، وإذا استمر العالم الإسلامي في قعوده وتقاعسه وتخاذله، فسوف تكون العاقبة هنا وهناك أشنع، ولن تكون الحلول الهزيلة في أي موقع إلا مراحل لقرض وقضم أوسع، فما بالكم إذا استمر العرب والمسلمون في احترابهم؟

وعليه فإن الصورة (الفيدرالية) المسلمة - الكاثوليكية لن تكون آخر المكاسب التي تحققها الفريسية الغربية على حساب المسلمين، أما الحلول الهزيلة في ديار العرب، فأترك لكم الحديث فيها، لأن للحرية في ديارنا ممراً إجبارياً، وهو في الوقت عينه مُنخرِقٌ إلى اتجاهات لا تدري في أي منها تضيع.

قال تعالى: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقتَلون**. .﴾ (التوبة: ١١١).

فهل العرب والمسلمون اليوم في حال تستوجب القتال في سبيل الله، أم أنهم في حال تستدعي قتل بعضهم بعضاً؟

المسلمون أقوياء بكتابهم وإيمانهم وتربيتهم، لكنهم ضعفاء بفرقتهم واحترابهم وتشتت آرائهم ومواقفهم، ومن ههنا يخدمون (يهوه) فتزدردهم

الفريسيات بكل أشكالها وبكل المواقع لقماً سائغة منفردة، وتسعى إلى تليينها وتطويعها أكثر فأكثر. هل ينتظر العرب والمسلمون أن تضعف الفريسية فيَقْوَوا؟ أو أن تغير تربية أجيالها؟ أو أن تلتزم بالعهود والمواثيق؟

قال لهم يهوه في (الكتاب المقدس) لا تقطعوا عهداً. وهم لا يخالفون يهوه، والفريسية النصرانية تعمل بأوامره لا بأخلاق عيسى عليه السلام، فلقد نكثت وخرقت مئات العهود والذمم التي قطعتها مع العرب والمسلمين، واحدة منها أنهم كانوا يتفاوضون مع الشريف حسين في الوقت عينه الذي كانوا فيه يرسمون المخططات والخرائط، ويضعون الخطوط الحمراء وألوان المناطق، وهم يقتسمون ديار العرب، ويكتبون وعد بلفور.

لن يتراجع الفريسيون عن تربيتهم، ولن يُرجِع العرب والمسلمون حقوقهم، ويحفظوا وجودهم وديارهم وكرامتهم ما لم يعتصموا بحبل الله ويكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

كان سيد الحلم، ﷺ، يغضب للأرض والعرض والدين. فهلَّا اقتدينا عرباً ومسلمين بسيرة محمد ﷺ وبالتربية التي ربانا عليها؟

ألم يكن أسلافنا سادة الدنيا بجهاتها الأربع أيام كانوا يعملون بأخلاقه وسيرته الشريفة؟ ثم، ألم نصبح آخر السلم في الاجتماع الإنساني بعد أن ترهَّلنا وتغافلنا عن العمل بسيرته وتربيته؟

اسمحوا لي - أخيراً - بسطرين ذاتيين: قطعت إلى الآن في ميادين التربية أشهراً وتسعاً وثلاثين سنة لم أكن في أي منها أستاذ دين أو سياسة، وتشرفني الأولى، لكنه التخصص. ولقد سعيت في ميادين العلوم الإنسانية تدريساً وكتابة، وبما هيأني الله تعالى له، إلى أن أكون داعية وحدة لا زارع فرقة بين العرب والمسلمين، أو بين مطلق إنسان وإنسان. ولست في هذا البحث داعية حرب، خاصة وأن السلام اليوم مطروح، وما دعوت إليه هو المرابطة(والعالم

مشبع بالتكتلات والشرور) والأُلفة وتوحيدُ الصف، والحذرُ من غدر الفريسيين، كل الفريسيين، وما عرَّيت الرواسب والعقد التوراتية إلا لأنها الرصيد الثابت - المتحرك في ميادين التربية اليهودية الحاقدة على العرب. ولعل هذا المبحث يَنْضَفِرُ والجهودَ الأخرى، فيؤازرها، ويسهم معها بإيقاظ الوعي وشحذ الهمم والذمم.

المصادر حسب الورود

وثقت الآيات الكريمة في مواضعها من البحث تمييزا وتعظيما.

الأول: د.عبدالكريم اليافي «تمهيد في علم الاجتماع» ١٩٦٤، مطابع جامعة دمشق.

الثاني: «الكتاب المقدس»: بالتقاطع بين نسختين، إحداهما من إصدار «لجنة الكتاب المقدس للشرق الأدنى» ١٩٧٧ - والثانية «...للشرق الأوسط» ١٩٨٥.

الثالث: د.محمد علي البار «المدخل لدراسة التوراة» الجزء الأول - دار القلم بدمشق. والدار الشامية ببيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

الرابع: مجلة الفيصل - العدد ٢٢٩ - رجب ١٤١٦هـ.

الخامس: د. عادل العوا «القيمة الأخلاقية» ١٩٦٥، الشركة العربية للطباعة والنشر.

السادس: د.جميل صليبا «مستقبل التربية في العالم العربي» ١٩٦٧، مكتبة الفكر الجامعي، بيروت.

السابع: د.سعد أحمد «تربية الإنسان» ١٩٦٥، عالم الكتب، القاهرة.

الثامن: د.عادل العوا «التجربة الفلسفية» الجزء الأول ١٩٦٤، مطابع جامعة دمشق.

التاسع: اميل دوركهايم، «التربية الأخلاقية» ترجمة السيد محمد بدوي، مكتبة مصر، التاريخ مغفل.

العاشر: «تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي» مؤسسة الإيمان ببيروت، ودار الرشيد بدمشق.

الحادي عشر: روجيه غارودي «قضية إسرائيل والصهيونية السياسية»، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، إصدار وزارة الثقافة السورية، ١٩٨٤.

Roger Garaudy: L'affaire Israel Le Sionisme Politique - Paris 1983.

مواضع التوثيق في المصادر/ بطريقة الاختزال/

التوثيق	المصدر	الموضع
(١)	الأول	ص٤٣٢.
(٢)	الثاني - صموئيل الثاني	١٢: ٣١.
(٣)	الأول	ص٤٣٣.
(٤)	الأول	ص٤٣٦.
(٥)	الثاني - تكوين	٦: ١-٤.
(٦)	الأول	ص٤٣٩.
(٧)	الأول	ص٤٤١.
(٨)	الأول	ص٤٤١.
(٩)	الثالث	ص٣٤٠.
(١٠)	الفيصل	عدد ٢٢٩.
(١١)	الثاني سفرالعدد	٢٥: ١-١٢.
(١٢)	الثاني - لاويين	١٨: ٦-٢٣.
(١٣)	الثاني - هوشع	٤: ١-٣.
(١٤)	الثاني - هوشع	٤: ١١-١٤.
(١٥)	الثاني - هوشع	٤: ١٥-١٨.
(١٦)	الثاني - هوشع	١: ٢-٨.
(١٧)	الثاني - هوشع	٣: ١-٤.
(١٨)	الثاني - يشوع	٦: ٢٠-٢٥.
(١٩)	الثاني - خروج	٢٠: ١٢-١٧.
(٢٠)	الثاني - خروج	١٧: ١٤-١٥.
(٢١)	الخامس	ص٢١٩.
(٢٢)	السادس	ص١٢.
(٢٣)	السادس	ص١٣.
(٢٤)	السادس	ص١٦.
(٢٥)	السابع	ص١١٦.
(٢٦)	الثامن	ص٤٦٦.
(٢٧)	التاسع	ص٥.
(٢٨)	الثاني - تكوين	٣: ١٤-١٥.
(٢٩)	الثاني خروج	٣: ٢١-٢٢.
(٣٠)	الثاني خروج	٢٣: ٢٧-٣٣.
(٣١)	الحادي عشر	ص١٥١.
(٣٢)	الثاني - تثنية	١: ٦-٨.
(٣٣)	الحادي عشر	ص١٥٠.
(٣٤)	الثاني - خروج	٣٤: ١١-١٥.
(٣٥)	الثاني - قضاة	١: ١-٧.
(٣٦)	الثاني - تثنية	٢: ٣١-٣٥.
(٣٧)	الثاني - عدد	٣١: ١-١٨.
(٣٨)	الثاني - عدد	٣١: ٢١-٤٠.

التوثيق	المصدر	الموضع
(٣٩)	الثاني - خروج	٦: ٢-٧.
(٤٠)	الثاني - خروج	١٩: ٥.
(٤١)	الثاني - تثنية	٧: ٦.
(٤٢)	الثاني - خروج	٣٢: ٧-١٤.
(٤٣)	الثالث	ص٢٣٩.
(٤٤)	الثالث	ص٢٤٠.
(٤٥)	الثالث	ص١٤٣.
(٤٦)	الثالث	ص١٤٥.
(٤٧)	الثالث	ص١٤٣.
(٤٨)	الحادي عشر	ص٩٣.
(٤٩)	العاشر - تفسير السيوطي.	
(٥٠)	الثاني - متى	١٥: ٢١-٤٨.
(٥١)	الثاني - متى	١٨: ٣-٦.
(٥٢)	الثاني - مرقس	١٠: ١٣-١٥.
(٥٣)	صموئيل الأول	١٥: ٣.
(٥٤)	الثاني - لوقا	٦: ٢٧-٣٠.
(٥٥)	الثاني - متى	٥: ٥-٨.
(٥٦)	الثاني - تثنية	٧: ١٤-٦.
(٥٧)	الثاني - صموئيل الأول	١٥: ٣.
(٥٨)	الثاني - تثنية	٢٠: ١٦.
(٥٩)	الثاني - متى	٢٣: ١٣-١٥.
(٦٠)	الثاني - متى	٢٣: ٢٤-٢٧.
(٦١)	الثاني - متى	٢٣: ٢٩-٣٥.
(٦٢)	الثاني - متى	٢٣: ٢٧.
(٦٣)	الثاني - تثنية	١٩: ١-٩.
(٦٤)	الحادي عشر	ص٨٩.
(٦٥)	الحادي عشر	ص٩٠.
(٦٦)	الحادي عشر	ص١٩.
(٦٧)	الحادي عشر	ص١٨٢.
(٦٨)	الحادي عشر	ص١٣١.

PHARISAISM AND THE HUMAN SOCIETY: A COMPARAPIVE RESEARCH BY USING ''PARITO - THEORY'' ABOUT THE PSYCHOLOGICAL RESIDUSES

Yuosef Fajer Raslan

Teachers' Training Institute
Homs - Syria

This research displays the falsedhood of verses adopted by Jews. It also shows how these falsified verses have changed into aggressive psychological derivations and residues against mankind, especially Arabs. The study adopted ''V. Parrito's theory'' in the method and idioms, and some of ''Freud's theory'' about the psychological complexes, and the aggression instinct.

Some of these false statements are ''the special god for special people'' ''the selected people'', ''God promise about Kan'an land''.

Such verses have been extended in their school books, as well as their religious, military and political institutions, and the Jews assemblies in the world. It is manifested in their refusal of the correct versions holy bible and many of the false tales and stories they have added to their holy book.

This research focuses on their continual attempts to expand in the Arab lands, and their refusal to live with Arabs. They adopt a policy that throws them out off the human society. It proves the incorporation of zionism and crusadism in one racial, aggressive camp against Arabs Islam, in spite of all the enemity that exists between them. It is a call for the Arabs and the Moslems to reject division and to unite their potentialities to fight for their religion.